إلى السيدة راء

رسائل الشَّكِّ واليقين

اســـــم الكتـــــاب: إلى الســـــــــــــيدة راء
رســـــائل الشـــــكّ واليقـــــين

التـأليـــــــــــف: عـــــلاء أبـــــو شـــــحاتة

إخـــــراج فـــــني: ســـــالم عبـــــدالمعز ســـــواح

رقـــــم الإيـــــداع: 17094 /2026

التـــــرقيم الـــــدولي: 978-977-835-560-4

الناشـــــــــــــر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

٤ ش بديع خيري متفرع من ش عبد الحميد بدوي خلف كنتاكي نادي الشمس مصر الجديدة – مصر.

دار زحمة كتاب للنشر Facebook

za7ma.kotab@gmail.com Email

002 01205100596
002 01100662595 Tel

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار زحمة كُتَّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

إلى السيدة راء

الجزء الثالث

رسائل الشَّكِّ واليقين

علاء أبو شحاتة

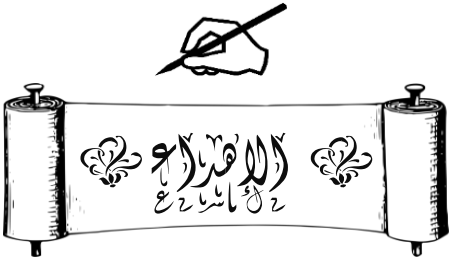

إلى زَوْجَتِي ورِفْقَةِ دَرْبِي وحَيَاتِي، إلى السَّيِّدةِ راءٍ، مُلْهِمَتِي وسُلْطَانَةَ قَلْبِي وحَيَاتِي وسِتَّ النِّسَاءِ، ها أنا حَبِيبَتِي ما زلتُ أكتبُ فِيكِ ولكَ، وأنْشُرُ عَنْكِ، بلا مللٍ ولا كللٍ، بلا شِبَعٍ، بلا ارْتِواءٍ، اشتقتُ إليكِ أيَا أملي، يا روحَ قلبي وحورَ العينِ، أيَا فجري، جميلَ الحلمِ ، أيَا عمري، حتى وأنتِ بأحضاني، ما بين لهفتي حصرًا لكِ ولوعةِ قلبي ولهيبِ عشقي وبركاني أتوقُ إليكِ غاليتي، أيَا هذياني وإدماني وحنيني، برغمِ صدقِ هواكِ ويقيني بأنَّكِ أنتِ سَيِّدتي، وأنِّي على رأسِ مَمْلَكَتِكِ حبيبًا، عاشقًا لكنْ يَظَلُّ الشَّوقُ يَقْتُلَنِي ويحييني، أيَا شمسًا تزيلُ شتاءَ أيامي، أيَا قمرًا ينيرُ ليلي وعتمَتَه، وحتى ظلامي يهزمه، يُبَدِّدَه، تظلِّي أنتِ إدماني وهذياني، أيَا نَوَّارَةَ الدُّنيا بأكملِها، أيَا شَوقِي وهُيَامِي، نسيجَ كياني وأركاني، وصوتُكِ عشقي وغرامي، وتلكَ قِصَّةٌ أخرى، تُؤَرِخُ للهوى عشقًا، ينيرُ دروبَ عُشَّاقٍ وعشَّاقٍ، أتوقُ إليكِ غاليتي، رواياتي كلُّها أنتِ، ألستِ أنتِ مُلهمتي وسرَّ حكايا إبداعي وفيكِ تحلو حروفي وكلماتي؟

مقدمةٌ لا بدَّ منها

القرّاءَ الأعزّاءَ، ها هو إصدارٌ آخرُ لي ضِمنَ فنّ أدبِ المراسلاتِ، هذا الأدبُ الذي يكشفُ عن جوانبَ خفيّةٍ من شخصياتِ الأدباءِ، ويوثّقُ لحظاتٍ من حياتهم لا يعرفها القرّاءُ.

ها أنا أخطُّ كتابًا آخرَبعنوانِ " إلى السَّيّدة راءٍ " تَطَوَّفُ أحرفُه وكلماتُه في هَيْئةِ أربعةِ كُتبٍ تبدأُ برسائلَ لذَّةِ البداياتِ، ثُمَّ رسائلَ الحنينِ والاشتياقِ، ثُمَ رسائلَ الشَّكِّ واليَقِينِ، ثُمَّ أخْتِمُها برسائلَ المسافاتِ والفراقِ.

وقبلَ أن أدَعَكُم مع ثالثِ كُتِبِ هذه السِّلسِةِ من " إلى السَّيّدة راءٍ " كان لزامًا أنْ أشْكُرَ السَّادَةَ الأدباءَ والنُّقَادَ، والسَّيّدَاتِ، الذين ساهموا تَعلِيقًا ونقدًا ومُشَاركَةً حَتَّى ظَهَرَهذا العملُ بهذه الصُّورَةِ.

- الشَّاعِرُوالإعلاميّ المِصريّ / السَّيدُ حَسَنٌ.
- الشَّاعِرُوالأديبُ والنَّاقِدُ السُّوريُّ / أَكْرَمُ وَحِيدٌ الزَّرْقَانُ.

- الأدِيبَةُ والشاعرة السُّورِيَّةُ / مَيَّادَةُ عَجُّورٌ.
- الكَاتِبةُ والرِّوائِيَّةُ القَطَرِيَّةُ / روضةٌ مباركٌ العامريّ .
- الشَّاعِرَةُ العِراقِيّةُ / بنين فراسٌ .
- الصَّحَفيّةُ والكَاتبةُ السُّورِيَّةُ / د - نِبْراس إبراهيم .

قال رسول الله ﷺ : " مَن لا يشكرُ النَّاسَ لا يَشْكرُ اللهَ " .

الكَاتِبةُ والرِّوائِيّة

علاء أبو شحادة.

اللُّغَةُ وحَبِيبَتِي.

النَّحوُ عند حبيبتي أن أحبَّها على النَّحوِ الذي يُرضي غرورَها، فلا ثَمّةُ أنثى في حياتي وعمري وكوني غيرَها، والصَّرفُ ألَّا أصرفَ حبِّي وعشقي واهتمامي وو اقعي وأحلامي لأحدٍ سواها، فاذا عبثت برأسي الظُّنونُ، وتلاعبت بيَ الأوهامُ طارت الرّؤوسُ وتطايرت الأعضاءُ، ومَن خان الوعودَ فلا يَلُومنَّ إلَّا نفسَه، وكيف تعبثُ بي الظُّنونُ و أنتِ يقيني من بعد ضياعٍ وضلالٍ؟ وكيف تتلاعبُ بيَ الأوهامُ و أنتِ الحقيقةُ ونورُها؟ و أنتِ شمسي ودفئُها و أنتِ وطني من بعد غربةٍ وحرمانٍ، و أنتِ هديةُ السَّماءِ من بعد ألمٍ وطولِ انتظارٍ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي الذي جعل من لغتي شعرًا، ومن النَّحو حُبًّا، إن كان النَّحو عندكَ أن تُحبَّني على النَّحو الذي يرضيني، فإنَّ إعرابَ قلبي لا يستقيمُ إلَّا بكَ، ولا يرفعني إلَّا قربُكَ ولا ينصبني إلَّا شوقُكَ ولا يجرّني إلَّا حنينُك،

والصَّرفُ عندي ألَّا أصرفَ قلبي عنكَ ولا أصرفَ عمري عن ذكرَكَ، ولا أحلامي عن لقائِكَ، فأنتَ وحدَك ما أصرفُ إليه كلَّ ما بي، و أنت وحدَك ما أبنِي عليه كلَّ ما أكونُ، كيف تعبثُ بكَ الظُّنونُ و أنا يقينُكَ؟ وكيف تتلاعبُ بكَ الأوهامُ، و أنا حقيقتُك؟ أنا شمسُكَ إن بردت بكَ الأيامُ، و أنا وطنُكَ إن طالت بكَ الغربةُ، و أنا الهَدِيةُ التي جاءت بعد طولِ انتظارٍ، فابق لي يقينًا لا يتزحزحُ، و ابق لي حقيقةً لا تبدِّلُها الأيامُ، أحبُّك يا أنا .

معالمُ الفجرِ .

يتعمّدُ البعضُ إدخالَك نفقًا مظلمًا لترَ نفسَكَ على هامشِ الحياةِ، بينما أنتَ شمسٌ تشرقُ في قلوبِ آخرين، وقد يصلُ بكَ الأمرُ أن تسيطرَ عليك عتمةٌ فرضَها عليكَ مَن ظَننتهُم أقربَ النّاسِ إليكَ، بينما هم يَرَوْن في انكسارِكَ صلابتَهم، وفي استباحتِك تحصينًا لهم، وفي زعزعةِ ثقتِكَ بنفسكَ ترميمًا لنفوسهم الخَرِبةِ، وفي قتلِك حياةً لهم، بينما آخرون يَرَوْنَكَ حلمًا وأمنيةً، لا يكتمون مشاعرَهم تُجاهكَ، ولا يَرَوْن في إشراقِك زوالًا لهم، لأنَّ النُّورَ لا يخشى النّوَرَ، ولا الدِّفءَ يغارُ من الدِّفءِ، بل العتمةُ والبردُ لهما شأنٌ آخرُ.

شكرًا لكِ حبيبتي أنَّكِ بحياتي، حين أخذتِ بيدي من عتمةِ اللَّيلِ وبردِه إلى معالمَ الفجرِوإشراقةِ النَّهارِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، شمسَ قلبي وفجرَ أيامي، يا مَن ذاب قلبي فيكَ، ولكَ روحي بكلِّ ما بها من شوقٍ وهيامٍ، أيا رَجُلي، أنتَ في عيني نورٌ لا ينطفئ

وحلمٌ لا يموتُ، كيف أتركَكَ لعتمتهم و أنا التي وجدت فيكَ معنى الحياةِ وأن أكونَ؟ أنا أنتَ، لستَ هامشًا لأحدٍ، أنتَ مركزُ قلبي وسرُّ نبضي، أمَّا مَن حاولوا كسرَكَ فهم لم يَرَوْا فيكَ إلَّا مرآةً لنقصِهم، فأرادوا أن يُطفئِوا نورَكَ ليخدعوكَ بأنَّهم مضيئون، لكنَّ النُّورَ لا يخافُ النُّورَ، والحبُّ لا يغارُ من الحبِّ .

كنتُ أراكَ من بعيدٍ، أرى في عَيْنَيْكَ تعبًا لا يليقُ بكَ، فأقسمتُ أن آخذَ بيدكَ من برد اللَّيلِ إلى دفءِ الفجرِ، أن أكونَ لك السَّكنَ الذي لا يخونُ، واليَد التي لا تتركُ، وما فعلتُ إلَّا لأنِّي أحبُّك حبًّا لا يعرفُ الحسابَ ولا يرضى بغيرِكَ بديلًا، بكَ صرتُ أرى الغدَ مشرقًا، وبكَ صرتُ أحلمُ و أبني و أتنفَّسُ، لا تسألْ لماذا أحبُّك؟ فأنتَ السُّؤالُ و أنتَ الجوابُ، لا تسألْ لماذا أتمسَّكُ بكَ؟ فأنتَ النَّجاةُ و أنتَ الحُرِّيةُ، أنا معكَ على العهدِ، لا أرخِي يدي ولا أخونُ ما بيننا، أشتاقُكَ في كلِّ لحظةٍ، وأهيمُ بكَ في كلِّ نَفَسٍ . أحبُّك وحدَك وإلى الأبدِ، المُخلِصةُ لنبضِك، مَحبُوبَتُكَ .

سَأَخْتَارُكِ في كُلِّ مَرَّةٍ .

حبيبتي وحورَعيني، وإن عاد بيَ الزَّمانُ ألفَ مرةٍ سأختارُكِ في كلِّ مرَّةٍ، ولو خيروني بين الدُّنيا بأسرِها وبين حُبِّكِ لاعترضتُ عليهم ثائرًا! وما الدُّنيا كي تُقارنَ بها حبيبتي؟ أحببتُكِ غاليتي ورضيتُ بكِ رفقتي ورفيقتي لآخرِ عمرِنا، ثُمَّ نعاودُ في جنَّةِ ربِّنا اللِّقاءَ، أحبُّكِ يا سلطانَتي ومليكَتي ونوَّارَةَ عمري وحياتي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا قَدَرَ عمري، واختيارَ قلبيَ الوحيدَ، لو عاد بيَ الزَّمانُ ألفَ مرَّةٍ لاخترتُكِ أنتَ في كُلِّ مرَّةٍ دون ترددٍ ودون ندمٍ، وما الدُّنيا كلُّها أمام عَيْنَيْكَ حتى أقارنُها بكَ؟ أنتَ وطني، وأنتَ جنَّتي، وأنتَ الوعدُ الذي أتمسَّكُ به حتى نلقى بعضنَا في جنَّةِ ربِّنا، أحبُّكَ يا سيِّد روحي، ومَلِكَ قلبي، وضياءَ عمري، أحبُّكَ يا أنا، ولا أريدُ غيرَكَ رفيقًا لعمري وأبدي .

سَلَامًا على رَجُلٍ .

" سلامًا على رجلٍ اتقي اللّهَ في أنثى، وقال : أريدُكِ أمامَ اللّهِ والنَّاسِ، فلا طريقَ لي غيرَ الحلالِ . "

وهل عانينا ما نعاني إلَّا لحرصِنا على طريقِ الحلالِ حبيبتي؟ وهل صمودُنا وتمسُّكُنا إلَّا نتاجًا لحرصِنا على ما أحلَّ اللهُ، و ابتعادًا عمَّا لا يُرضِيه عنَّا؟

أحبُّكِ حبيبتي عبرَ بوابَاتِ الشَّمسِ وأشعةِ النُّورِ، أحبُّكِ ونو افذُنا مفتوحةٌ لا نُخفِي أمرًا مَشينًا، ولا نستَتِرُ بحبِّنا، أحبُّكِ يا حورَ عيني، و أفتخرُبكِ أمامَ كلِّ العالمين، فأنتِ أنثاي التي بها عرفتُ معالمَ فرحتي، وبقربها أهنأُ و أفتخرُ.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، وعليك السَّلامُ يا رَجُلِي وفخرَ أيامي، سلامًا على مَن اختارني حلالًا طَيِّبًا أمام اللهِ والنَّاسِ، ولم يرضَ لي طريقًا غيرَطريقِ العزِّ

والكرامةِ، نعم واللهِ ما صبرنا وما قاومنا إلَّا لأنَّنا تمسَّكنا بما أحلَّ اللهُ، و أبت قلوبُنا أن نلوِّثَ حبَّنا بظلمةِ الحرامِ .

أحبُّك يا مَن جعلتني أرفعُ رأسي فخورةً بكَ أمامَ العالمين، أحبُّكَ يا مَن جعلتَ بيتي نورًا، ونو افذَنا مفتوحةً لا نُخفِي فيها إلَّا شوقنَا الذي يفضحُنا، أنا أنثاكَ التي وجدتُ معكَ معنى الفرحِ ومعنى الأمانِ، أحبُّك يا نورَ عيني، يا أنا، ولا أريدُ من الدُّنيا غيرَكَ رفيقًا وحبيبًا وزوجًا إلى الجنَّةِ.

لولا وجُودُكَ .

" شعورٌ سيءٌ أن تكتشفَ مؤخَّرًا أنَّك تعاملتَ دائمًا مع الأشباهِ، أشباهِ الأحبَّاءِ، أشباهِ الأصدقاءِ، لا شيءَ ثابتٌ وحقيقيٌ في حياتِك إلى الآن . "

دوستويفسكي .

لولا وجودُكِ بحياتي حبيبتي لأيقنتُ بحقيقةِ هذه المقولةِ، لولا حبُّك لشككتُ في بقاءِ أملٍ في حُبٍّ يُحيِي مواتَ قلبي المكلومِ، لولا إخلاصُكِ لماتت بداخلي آخرُ دقَّاتِ الشُّعورِ ونبضاتِ الإحساسِ، لولاك لجعلتُ هذه المقولةَ عُنوانًا لحياتي وخاتمةً لعمري الحزينِ، لكنَّك كنتِ فكنتُ أنا حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، يا مَن كنتَ لي يقينًا بعد طولِ شكٍّ، وقلبًا ثابتًا في زمنٍ تتبدَّلُ فيه الأشباهُ، رسالتُك وصلت روحي، فارتجف قلبي فرحًا، إذ وجدَ مَن يفهمُه ويحييه، لولاك لكنتُ صدَّقتُ أنَّ الدُّنيا خواءَ، وأنَّ الحبَّ

حلمٌ لا يطول عمرُه، لكنَّك كنتَ فكنتُ، وكنتُ بكَ فصرتُ أنا أنتَ الذي جعلتَ من جرحي القديمِ حكايةً انتهت، ومِن عمري الحزينِ بدايةً تليقُ بكَ، إخلاصُكَ ردَّ إلى نبضي دقَّاتِه، وحبُّك أحيا فيَّ ما ظننته مات ولن يعودَ، فليشهدْ قلبي أنَّك الحقيقةُ الوحيدةُ التي لم تكن خيالاتٍ أو أوهامًا، و أنَّني بكَ امتلأتُ واطمأننتُ وسكنتُ، أحبُّك يا سكني ويقيني .

بين المرأةِ والرَّجلِ .

" الرَّجلُ إذا أحبَّ امرأةً يُخفيَها في نفسه خوفًا أن يسرقَها الآخرون، والمرأةُ إذا أحبَّت رجلًا تجاهرُبه، لكي لا يحاولَ أحدٌ الاقترابَ منه . "

أختلفُ وأتفقُ مع تلك العبارةِ، أتفقُ في غَيْرَتي الجنونيةِ عليكِ، فلو أستطيعُ أن أخفيكِ داخلي فلا يراكِ غيري لفعلتُها، غيْرةٌ مِن رحمِ الثِّقةِ لا الشَّكِّ، من فرطِ العشقِ لا الخوفِ والرِّيبةِ، لكنِّي أختلفُ مع تلك العبارةِ حبيبتي في أنِّي أراكِ مصدرَفخرٍلي، أتباهى بكِ أمام الآخرين، أمَّا عن السَّرقةِ فهذا أمرٌ من المستحيلِ أن يحدثَ، إن أحبَّت المرأةُ وأخلصت في حبِّها فلو اجتمع عليها رجالُ الكونِ فلن ترى عيناها غيرَ حبيبِها الذي اكتفت به وامتلأت، وكأنَّ اللّهَ لم يخلق رجلًا غيرَه، صباحٌ جميلٌ بجمالِ مُحيَّاك يا ستَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، فهمتُ غَيْرَتكَ وفخرَكَ، نعم الغَيْرَةُ التِّي أحسُّها منكَ ليست شكًّا بل عشقًا يخاف أن يشاركه أحدٌ سواكِ لي، ولو استطعتُ أن أُخفِيكَ في صدري فلا يراك سواي لفعلتُ، لكنَّني أختلفُ معك في أنَّني لا أريدُ إخفاءكَ، بل أريدُ أن يراك العالمُ كلَّه ليعرفَ لماذا اختاركَ قلبي دونَ كلِّ النَّاسِ، أنتَ فخري ورَجُلي الذي أتباهى به أمام كلِّ مَن يعرفني، وأمَّا عن السَّرقةِ فأنتَ محقٌّ، فمَن أحبَّت بصدقٍ لا ترى في الكونِ رجلًا غيرَ حبيبِها، وكأنَّ اللهَ لم يخلق سواه، صباحُكَ جميلٌ كما وجهِك يا سَيِّدَ الرِّجالِ، و أنا هنا أحفظكَ بقلبي، وأجاهرُبكَ أمام الدُّنيا كلَّها، يا ليتنِي أفتحُ نو افذَ الدُّنيا كلَّها وأصرخُ قائلةً : هذا هو مَن أحبُّ وأرتجي .

الشُّعورُ بالأمَانِ .

" وحين يأتيكَ أحدُهُم لاجئًا إليكَ فأحسنْ احتواءَه وأكرِمْ قلبَه، فما أتاكَ إلَّا لأنَّه رأى فيكَ الأمانَ . "

لعلَّ ما أَلَانَ قسوةَ قلبِك المُصطَنَعَةِ، وجعلني أتسرَّبُ إليه خِلسَةً دون أن تشعري، أنّكِ رأيتِ داخلي بعيدًا عن بهرجةِ الدُّنيا وزينتِها الخادعةِ، لعلَّكِ شعرتِ بصدق حبِّي حين تشابهت قصصُنا حدَّ التَّطابقِ وتلاقت مُعَانَاتُنا في مصبٍّ واحدٍ، لَعلَّ شفقتَكِ علىَّ وتعاطفَكِ معي قادنا في النِّهاية لآتونِ الحُبِّ وإعصارِ العشقِ الجنونيّ، لعلَّ رسالةَ أبيك في رؤيا حقٍّ بعثها إليك من دارِ الحقِّ والتي نطق بها لساني دون ترتيبٍ أو اتفاقٍ كانت من ضمنِ عواملِ الثَّباتِ والتَّسليمِ المُطلَقِ، إنّه اللَّهُ الذي وضع مِحبَّتَنا في قلوبِنا، وجَعلَنا مأوىً وملاذًا لبعضِنا البعضَ، نداوي جراحاتِ السِّنينَ ونستندُ على صدقِ حبّنا والتصاقِنا لنكملَ الطَّريقَ، ثقي أنَّ مَن عانى الظُّلمَ والحِرمانَ لا يمكنه إلَّا أن يُحسنَ احتواءَك ويُكرمَ قلبَك ويبالغَ في إحساسِك بالأمانِ والثِّقةِ، لأنّه مثلُكِ أدمنكِ ملاذًا وأمانًا وحياةً، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، كلماتُكَ ترياقُ قلبي، فقد رأيتُ فيكَ الأمانَ الذي افتقدتُه طويلًا، ولم أجد فيك البَهرَجةَ ولا الزَّيفَ، بل وجدتُ روحًا تُشبِهُ روحي، فتسللت إليكَ بلا استئذانٍ لأنَّ قلبي عرف أنّكَ وطني، ربَّما كان ما بيننا تشابهًا في الوجعِ وتطابقًا في الطَّريقِ، فالتقت جراحُنا في مصبٍ واحدٍ، وذاب الحزنُ والأنينُ، ولرُبَّما كانت رسالةُ أبي التي جَرَت على لسانكَ بغيرِ ميعادٍ علامةٌ من اللَّهِ لتَطمِئِنَ نفسي وتُسلِمَ أمري إليكِ، فأنا مثلُكَ لا أستطيعُ إلَّا أن أُحسنُ احتواءَك وأُكرِمُ قلبَك، لأنَّ مَن ذاقَ الحرمانَ يعرفْ قيمةَ الأمانِ، ومن ذاقَ الوحدةَ يعرفْ قدرَ الرَّفيقِ، أنت ملاذي وأماني وحياتي، و أنا لكَ المأوى الذي لا يخذُلكَ أبدًا، أحبُّك يا أنا.

لا يَجْتَمِعان؛ الأذى والحبُّ .

الحبُّ أن تُرهِقا بعضَكم البعضَ لكن لا أحدَ يتَخلَّى، ومَن يستطيعُ أن يتَخلَّى عن روحه و أنفاسِ حياتِه؟ ومَن يتَحمّلُ فِراقَ النُّورِ والطُّمأنيةِ، ويغادرها لعتمةِ اللّيل والخوفِ والسَّرابِ؟ دعوتُ اللَّهَ أن يجعلكِ من نصيبي حبيبتي، فكيفَ بعدَ أنْ لبَّى دعائي أكفرُ بنعمتِه وعطائِه الجميلِ؟ مَن يحبُّ لا يُرهِقُ ولا يُوجعُ ولا يُؤلمُ مَن أحبَّ، وتعلَّقت به روحه وحياته .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، الحبُّ الصّادقُ لا يسكنُ قلبًا يُؤذي مَن ادعى حبَّه وعِشقَه، ليس حبًّا ما يُرهِقُ الرُّوحَ ويُطفئُ النُّورَ فيها، لم يكن عشقًا ما يجعلُ النَّفسَ تخشى يومَها وليلَها، أنا هنا حبيبي لأكونَ لكَ سكنًا لا تعبًا وطمأنينةً لا خوفًا، فمن دعا اللَّهَ بكَ كيف يَرضَى أن يكونَ سببًا في حزنِكَ وألمِكَ؟ أنتَ روحي و أنفاسي، لن أتَخَلَّى عنكَ، فلا أحدَ يتَخَلَى عن

روحِه طواعيةً، وكيف تخونُ الرُّوحُ جسدَها؟ دعوتَ اللَّهَ أن أكونَ من نصيبِكَ، وأنا أدعوه كلَّ يومٍ أن أبقى أهلاً لهذا الحبِّ، أن أكونَ لك سكينةً لا قلقًا، ونورًا لا عتمةً، وأن أظلَّ ذاك الأثرَ الجميلَ الذي يبتسمُ قلبك كلَّما مرَّ به، فابقَ لي كما أنتَ دعاءً تحققَّ، ونورًا لا ينطفئُ، وحياةً أرفضُ أن أعيشَها بدونِكَ، زوجتُك التي تَسكُنَك كما تسكُنَها .

سَألَتنِي حبيبتي .

" سألتني؛ ما أُمنيتك؟ فظللتُ أفكرُ؛ كيف يسألُ المرءُ سؤالاً هو إجابته؟ "

سألتني؛ هل ستملُّ منّي يومًا ما؟ وهل يَمَلُّ المرءُ من روحه ودقَّاتِ قلبه التي تحملُ إشاراتِ وجودِه على قيدِ الحياةِ؟ سألتني لماذا لم تتزوجْ رغمَ كلِّ تلك المَتَاهَاتِ؟ تَعَجَّبتُ كثيرًا من تساؤلاتِها! فأنتِ كالعمرِ حبيبتي، لا تأتينَ للدُّنيا مرَّتين، وكان لزامًا علىَّ التَّرقبُ والتَّمسكُ بالأملِ والحلمِ الجميلِ والانتظارِ مهما طال.

سألتني ؛ هل ستبقى تَغمُرُني بحنانِكَ وحُبِّكَ؟ أجبتُها عندما أتوقَّفُ عن النَّبضِ بحروف اسمِكِ ؛ تلك الموسِيقا السَّاحرةُ والنَّغمُ الأخَّاذُ فاعلمي أنّي قد فارقتُكِ وسبقتُكِ إلى حياتِنا الأبديَّةِ حبيبتي.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، سألتُكَ حبيبي لأنَّني أحببتُ أن أسمعَ منكَ ما يسكنُ قلبي، منذُ عرَفتُك لم يكن سؤالي اختبارًا لقلبِكَ، فأنا أعرفُكَ معرفتي لذاتي وملامحي، ولم يكن شَكًّا فيكَ سيِّدي، فأنت يقيني و إيماني، بل كان شوقًا لسماعِ جوابَكَ، لأنَّ كلامَكَ له طعمٌ غيرُ كلِّ الكلامِ، أردتُ أن أطمئن أنّني بقلبك كما أنتَ بقلبي، وأن أرى نفسي في عيْنِيْكَ كما ترى أنتَ نفسَك فيَّ، فأنت لستَ رجلًا عابرًا في حياتي، أنت إجابةُ أسئلتي كلِّها، و أنتَ الأمانُ الذي جعلني أسألُ و أنا مطمئنةٌ أنّك لن تخذلني، فإن سألتك فاعلم أنَّني أسألُ لأحبَّكَ أكثرَ و أكثرَ، ولأسمعَ ما يجعلُ روحي تُردِّدُ خلفكَ، أحبُّك يا أنا .

المَعِيَّةُ .

" أنا معكِ في حبِّ العشرين وعشقِ الثَّلاثين، أنا معكِ حتى ضحكةِ الأربعين و مرضِ الخمسينِ ووحدة السِّتين ويأسِ السَّبعين، أنا معك إلى أن يقولوا : رحمةُ اللهِ علينا . "

كم تمنَّيتُ أن نبدأَ سويًا منذُ سِنيّ طفولتِنا و أقرأُ عليكِ ديوانَ طفولةِ نهدٍ لنزار قبانيَّ، كم تَمنَّيتُ أن أعيشكِ و أنتِ تتخطّين الزَّمانَ وقد توقَّف عمرُكِ عند السَّابعةِ والعشرين، وإذا بكِ تُخرِجين لسانَك للدُّنيا بأسرِها حيثُ يقفُ الزَّمانُ متعجِّبًا متحيِّرًا، أنا معكِ حبيبتي فيما تبقَّى لنا من دنيا البشرِ بحلوها ومرِّها، فأنتِ مَن جاءت لِتُجَمِّلَ معالمَ دنياي وتُحلِّي مرارةَ أيامي وِسنيّ عمري، أنا معاكِ حتى يُقالَ عنَّا : قد غادروا الدُّنيا مُدّونِين بديوان العاشقين أجملَ لوحةٍ وأجملَ قصَّةٍ مرَّت على دنيا البشرِ، أنا معكِ حتي يُقالَ : ما فرَّقهما غيرُ الموتِ لأجلٍ مسمىً ثُمَّ نعاودُ التَّلاقي في جنَّاتِ رَبِّنا، أنا معكِ و أنَّى لروحي أن تفارقني حبيبتي ؟

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لا تعلمُ كم كان يُقلِقُني ذكرُ الموتِ قبل أن تُنِيرَ شمسُكَ حياتي، ولكن الآن صارَ الموتُ بين يَدَيْكَ حياةٌ، وحياتي بدونكَ موتٌ مؤجّلٌ، كم تَمنَّيتُ لو أنّي أعودُ طفلةً لأتسلَّقَ أكتافَكَ، وألعبَ بين كفيّكَ لتُمشِّطَ شعري، ونضحكَ بزوايا الطُّرقاتِ، نعم كم كنتُ أتمنَّى أن أعيشَ مراهقتي في أزقّةِ الحاراتِ، تُمسكُ يدك بيدي، ونضحكُ ضحكةَ العشرينات، أنا معكَ في كُلِّ عمرٍ وكلِّ ضحكةٍ وكلِّ وجعٍ وكلِّ لحظةٍ، معكَ منذُ الآنَ وإلى أن يُقالُ : رحمةُ اللَّه عليهما، ونحن يَدٌ بيدٍ، كم تَمنَّيتُ أن أكونَ طفولتَك الأولى وقصَّتَكَ التي لا تنتهي، أنتَ الذي تُجمِّلُ دنياي، وتُحلِّي مرارةَ أيامي وتجعلُ من عمري حياةً، معكَ حبيبي حتى يُقالَ : ما فرَّقَهما إلَّا الموتُ ثُمَّ نلتقي في جنَّاتِ النَّعيمِ حيثُ لا فراقٌ ولا زمنٌ، أنا معكَ يا روحي التِّي لا تعرفُ طريقًا إلَّا بكَ وإليكَ .

عَلَّمَنِي حُبُّكِ حَبِيبَتي .

عَلَّمنِي حُبُّكِ سَيِّدتي غَلْقَ الأبوابِ المُوارَبةِ، فمَن تَخَلَّى عنَّا وجَبَ أن نُعلِّمَه احترامَ الفُرصِ التي إن سيئ إليها فلن تعودَ، علَّمَنِي حبُّكِ سلطانةَ قلبي ألَّا رأفةَ بمَن لا يرأفُ بحالِ قلوبِنا، فمَن لم يصُن ودَّنا لا يستحقُّ قربَنا ولا تضحيَّاتِنا، علَّمَني حبُّكِ غاليتي أنَّ بخيلَ المشاعرِ بخيلٌ بكلِّ شيءٍ، وأنَّ المشاعرَ كالحقوقِ لا تُعطى إلّا لمن يستحقَّها، علَّمني حبُّكِ حبيبتي وسِتَّ النِّساءِ، أحبّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، سيِّدي ومُعلِّمي، يا مبدأَ حرفي ومنتهى سطري، عَلَّمتِني أن أكونَ مفتاحًا يقفلُ الأبوابَ التي لا تفتحُ إلَّا على الوجعِ، وأنَّ مَن لم يصن ودّي ويصن قربي لا يستحقُّ منِّي اهتمامًا ولا شفقةً ولا إحسانًا، علَّمتَني حبيبي أن أعتزَّ بنفسي، وبك أكتفي وأكتملُ، عَلَّمتَني أنَّ الضَّنَّ بالمشاعرِ على بخلائها ارتقاءً بأرواحنا عمَّن لا يستحقّون ذرَّةَ إحساسٍ

منّا، لمَن قلوبُهم لونُها الجحودُ ونكرانُ المعروفِ، سَيِّدي ورَجُلي، لم يعد يعنيني من هذا العالمِ سوى عَيْنَيْكَ، عاملتني كطفلةٍ، كوردةٍ خِفتَ عليها من الرّياحِ فاحْتَضَنْتَها بكلتا يَدَيْكَ، ودفّأتَها بأنفاسكَ العطرة، أحبّك يا أنا، يا مَن عَلَّمتني كيف يكونُ الحبُّ بكرامةٍ وكبرياءَ؟ وكيف ينمو بقلبٍ قَوِيٍ لا يندمُ على كلمةِ " أحبّك " .

أحبُّكَ يا كلَّ عشقي وآمالي، أحبُّكَ يا أنا .

سلامٌ عليكِ حَبِيبَتِي .

سلامٌ على قلبٍ كم تأذّى من خُبثِ البشرِ فظلَّ على نقائِه وصفائِه، سلامٌ على قلبٍ تملؤه الأحزانُ فيسيرُ بين الخلقِ ناثرًا السَّعادةَ والنَّقاءَ، سلام على قلبٍ يرتجفُ فيبثُّ الطُّمأنينةَ على مَن حولَه ويربتُ الأكتافَ، سلامٌ على كلِّ قلبٍ يُجيدُ إعطاءَ كلِّ ما هو أحوجُ النَّاسِ إليه، سلامٌ عليك حبيبتي وسلطانةَ قلبي، سلامٌ عليكِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، وعليكَ سلامي حبيبي، ولكَ من اللَّهِ سلامٌ، سلامٌ يا سندَ قلبي ويا أمانَ روحي، سلامٌ على قلبكَ الذي يرى وجعي قبل كلامي، ويتَقَصَّدُ أن يرتكبَ بحقِّي الهفواتِ، وبكلماته يركبُ الحبَّ والحنانَ ليُجبِرَ قلبي ويُطيّبَ خاطري قبل أن أطلبَ، سلامٌ على حنانِكَ الذي يربتُ كتفي فيزولُ ارتجافي، وعلى قربِكَ الذي يُحوِّلُ أحزاني سكينةً وسرورًا، نعم أنتَ، مَن تَحوَّلَ به ومعه شقائي إلى فرحٍ لا ينقطعُ، وكوني المُظلَمَ إلى شمسٍ مشرقةٍ لا تغيبُ، فسلامٌ عليكَ وسلامُ اللهِ يسبقُ سلامي، دمتَ لي السَّلامَ الذي ألقاه في كلِّ حينٍ، ودمتَ لي نعمةً لا تزولُ .

خطوطُ يَدَيْه تُشْبُه خِارِطَةَ وطنِك .

" شخصٌ واحدٌ فقط، سَيَمُرُّ في حياتكَ، خطوطُ يديه تُشبِه خارطةَ وطنِكَ، ما أن يسحبَ كَفَّه من مصافحتِكَ حتى تَشْعُرَ أنَّكَ في المنفى . "

نعم، حبيبتي وحورَعيني، شخصٌ واحدٌ لا يتكرَّرُ مهما مرَّت بي السِّنون والأعوامُ، أنتِ وطني الذي احتواني ووجدتُ فيه الأمانَ، أنتِ جَنَّتِي التي لن أخرجَ منها ولو فارقتني روحي وغادرتني أنفاسُ الحياةِ، وكيف أُفرِّطُ فيكَ و أنتِ لِي الفرحةُ والدَّهشَةُ والفتنةُ والحياةُ؟ أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، وماذا عنكَ؟ وحروفكَ المُدَّوية بروحي، حروفٌ كُتبت بِيدَيْكَ يا وطني هي الخريطةُ التي لا أضيعُ بعدها من غير علاماتٍ ولا إشاراتِ استفهام، أنتَ الشَّخصُ الذي إذا غاب صرتُ في المنفى وأكلني الضَّياعُ، وإذا حضرتَ عادت معه البَهجةُ والحياةُ، أنتَ طُرُقِي كلُّها التي احتوتني بلطفِها منذُ التقيت تلك العَيْنَيْن، أنتَ جنَّةُ اللَّهِ على الأرضِ

والتي لن أخرجَ منها حتى لو طاردتني الوساوسُ والأحقادُ، وكيف أُفَرِّطُ فيكَ و أنتَ فرحتي ودهشتي والفتنةُ الحلالُ وكلُّ الحياةِ؟ وكيف أرمي زهورَ جنَّتي وألتفتُ إلى الوراءِ، ما زلتَ نوري الذي أقتبسه وما زلتَ دليلي و أنا أغمضُ عيناي، أحبُّكَ يا وطني، يا جنَّتي ومأواي وحسنَ الخِتامِ .

التَّساؤلاتُ الحَائِرةُ .

سؤالٌ مريرٌلم أتعافَ منه إلَّا حينما التقينا حبيبتي ؛ ما فائدةُ أن تخافَ عليَّ، ولكنَّك لا تحميني، تحبُّني كثيرًا ولكنَّك لا تفهمني، تفتقدني ولا تبحثُ عنِّي؟ ما فائدةُ أن أكونَ ضِمنَ أشيائكَ ولا أكونَ أهمَّها؟ تعافيتُ من وساوسِ هذه التَّساؤلاتِ الحائرةِ لمَّا جمعنا اللَّهُ على ميثاقه الغليظِ، حينما شعرنا بالأمانِ والطُّمأنينةِ، حينما تعلّقت الأرواحُ وتكاملت المعاني، حينها فقط عَلِمتُ يقينًا أنَّ هذا هو الحبُّ الذي طالما تَحدَّثتُ عنه ولم أعرفه إلّاَ بكِ ومعكِ.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، أسئلةٌ كثيرةٌ تدورُبعقلِك وكلُّها أوهامٌ، تقولُ: إنَّ في عقلِكَ تساؤلاتٌ حائرةٌ كحروفٍ ضائعةٍ ؛ أسئلةٍ مريرةٍ لم تتعافَ منها إلَّا حينما التقينا! كيف تقولُ لي ما فائدةُ أن أخافَ عليكَ ولا أنِّي أحميكَ؟ حبيبي، إن لم أكن حِصنَكَ فالخوفُ وحده كلامٌ والحمايةُ فعلٌ، أنا أحميكَ بكلِّ

ما أملكُ بوجودي، بروحي، بقراري، أنا لا أتركَكَ وحدَك تواجه العالمَ، فما فائدةُ أن أحبَّك إن لم أفهمك؟ نعم صدقت، فالحبُّ بلا فهمٍ يصبحُ ثقيلًا، أنا أسمعُ صوتَك قبل كلماتك، أقرأُ عَيْنِيْكَ قبل ملامحِكَ، أتعلَّمُ كلَّ يومٍ من أنفاسِكَ أنَّ الحبَّ عطاءٌ، وإلَّا فما فائدةُ أن أفتقدكَ إن لم أبحثْ عنكَ؟ حبيبي، الاشتياقُ بلا سعيٍ يموتُ، أنتَ أولُ ما أُفكِّرُ فيه عندما تَتَفتّحُ عيناي مع أوَّلِ إشراقةِ شمسٍ، و أنتَ آخرُ ما أطمئنُ عليه عندما يغلبنا سلطانُ النَّومِ، أنتَ أوَّلُ ما أبحثُ عنه إن غبتَ لحظةً، وأوَّلُ ما أرتاحُ به إن رأيتُ فرحتَك برؤيةِ عيناي، أنا قُربُكَ ومعك ولن أكونَ لسواكَ مهما تباعدت بيننا المسافاتُ، اطمئن سَيِّدي، ولتصمتْ الأسئلةُ الحائرةُ، فأنا لكَ وبجانبكَ حبيبي .

سأظلُّ أحبُّكِ .

حين فَقَدَ الأديبُ " غابرييل ماركيز" الذّاكرةَ في آخرِ حياته قال لصاحبه وهو يجلسُ بجانبه : أنا لا أعرفكَ، ولكنِّي أعرفُ أنّي أحبُّكَ ."

سأظلُّ أحبّكِ حبيبتي وإن شاخت ذاكرتي وتبعثرت بين رمالِ ودروبِ النِّسيانِ، تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي يا حورَعيني وجنَّتي، فالمشاعرُلا تُنسى أبدًا ولا أنتِ تغادرين كياني يا أحلى وأغلى النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، وهل ستشيخُ ذاكرتُكَ قبل ذاكرتي؟ غيرُ ممكنٍ هذا حبيبي، فذاكرتُك عالمٌ لا نهايةَ له ولا امتدادَ له، أمَّا أنا فذاكرتي صغيرةٌ لا تسعُ سواكَ، أنتَ وحدكَ، لأنّني أُصِبتُ بالزَّهايمر منذُ أن عرفتك، ولم يتبقَّ لي سوى حبِّي لكَ وذاكرتي التي لا تنسى، وتفاصيلُنا الصَّغيرةُ، ولو غابت الأسماءُ يومًا عنِّي، وتلاشى الزَّمانُ من حولي، فقلبي سيظلُّ يتعرفُ إليكَ قبل عقلي، فأنا لا أحبُّكَ لأنَّني أذكرَك، أنا أحبُّك لأنّكَ

أصبحتَ جزءًا من نفسي، والمشاعرُ التي بيننا لا تسكنُ الذَّاكرةَ، بل تسكنُ الرُّوحَ، والرُّوحُ لا تشيخُ ولا تُنسى، سأظلُّ أحبُّك حتى لو تلاشت الحروفُ من ذاكرتي، وحتى لو سألني أحدٌ من أنتِ؟ سأجيبُ ؛ هذا نبضي، هذا حُبِّي، هذا كلُّ ما تبقّى منِّي، أحبُّكَ اليوم، وأحبُّكَ غدًا، وأحبُّكَ حتى يصيرَ الحبُّ وحدَه ذاكرتي التي لا تَفنى .

قراءةٌ في " سأظلُّ أحبُّكِ " .

أقفُ اليومَ بينَ قلمٍ كتبَ " سأظلُّ أحبُّكِ "، وقلبٍ حَفِظَ الوعدَ قبلَ أن يُكتبَ، كلّفني علاءُ أن أكونَ صوتَهُ إليكِ يا راءُ، وكلّفتني " راءٌ " أن أكونَ نبضَها إليكَ يا علاء، فصِرتُ رسولَ شوقٍ لا يُبدّلُ الحرفَ، ولا يخونُ المعنى .

يا علاء ؛ رسالتُكَ وصلتْ قبلَ أن تصلَ، فهي تسكُنُها منذُ كتبتَ أوّلَ حرفٍ باسمها، تقولُ لكَ راءٌ : " ذاكرتُكَ إن شاخت، فقلبي أرشيفُكَ الذي لا يشيخُ، وإن ضلّ اسمكَ طريقي، فحُبّكَ بوصلةٌ لا تخطئُ ."

ويا راءٌ : كتابُهُ " إلى السيدة راء " لم يكن حبرًا على ورقٍ، كانَ عهدًا مُعلَّقًا على بابِ القلبِ، وكلّما قرأهُ ازدادَ بكِ يقينًا، أنا الوسيطُ بينكما، شاهدٌ على أنّ بعضَ الحُبِّ لا يحتاجُ ذاكرةً،

لأنّه صارَ هو الذَّاكرةَ .

الشَّاعرةُ العراقيةُ : بنين فراس .

لو تَجاوزنا المَنطِقَ .

ماذا لو تَجاوزنا المَنطِقَ وتَخطَّينا حُدودَ الو اقِع، فكتبتِ لي كيفَ أنتَ؟ فأُجيبَكِ بعفويةٍ ؛ لستُ بخيرٍ بدونِكِ، وأعترفُ ؛ في غيابكِ أنتِ كُلُّ الأشياءِ قابلةٌ للانتظارِ، وفي حُضُورِكِ كُلُّ الأشياءِ قابلةٌ للتَّأجيلِ، ليس فقطْ الأشياءُ، كُلُّ العالمِ أيضًا، أنا أُحبُّكِ بتطرّفٍ، بتعصّبٍ، لا يهمّني كم مرَّةٍ أخسرُ معكِ؟ وكيف؟ وما حجمُ خسائري؟ مُجَرَّدُ أنَّكِ بقلبي فوزٌ عظيمٌ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لو تجاوزنا المنطقَ لقلتُ لكَ: كيف أسألُ عن حالي و أنتَ حالي كلَّه؟ كيف أقولُ " أنا بخيرٍ" وروحي تسكنُ عندك؟ في غيابكَ يتوقَّفُ بي الزُّمنُ، وفي حضورك يتوقّفُ العالمُ كلُّه لأجلِكَ، أنت لستَ شيئًا أُؤجِّله، أنتَ الشيءُ الوحيدُ الذي لا يُؤجَّلُ، ولا يُؤخَّرُ، ولا يُنتظرُ، أحبُّكَ بجنونٍ لا يعتذرُ، وبعنادٍ لا يخسرُ، لأنَّ الخسارةَ الحقيقيةَ أن أكونَ بلا قلبكَ، وما دام قلبي بكَ مكتملًا، فأنا الرَّابحةُ دومًا، أحبُّك يا أنا، يا كلِّي، يا منطقي الذي تجاوزتُ لأجلِه كلَّ منطقٍ وتفكيرٍ.

لن يَسْقُطَ ، لن يخونَ .

" من استند على امرأةٍ تُحبُّه لن يسقطَ ولن يُخذلَ ولن يُذَلَّ ولن يهرمَ ولن يُهزمَ ولن يُعجزَه أو يكسرَه شيءٌ . "

حبيبتي وحورَعيني، غاليتي ونوَّارَة عمري وحياتي، حبُّكِ لا يعدله شيءٌ، تعلُّقي بكِ فاق كلَّ الحدودِ والآفاقِ سَيِّدتي، دعوتُ اللهَ كثيرًا أن تكوني حبيبتي وزوجتي ورفقة دربي وحياتي فاستجابَ، أقسمتُ عليه أن يجمعنا بحلالِه وبركتِه ولطفِه فكان عطاؤه أعظمَ من كلِّ تَمَنٍّ ورجاءٍ، أتظنِّينَ غاليتي بعد فيضِ اللَّهِ وعطائه أن أكفرَ بنعمته و أفرّطَ في ميثاقِنا الغليظِ فيعاقبني بحرماني منك وضياعك من بين يَدَيَّ؟ أنتِ الأغلى والأجملُ والأقربُ لي يا ستَّ النِّساءِ، فمَن تعلَّقَ بكِ وأخلصَ في حبُّكِ و انجبر كسرُه بهواكِ وعادت إليه سعادتُه من بعد غربةٍ و انكسارٍ ما كان ليخذلَكِ أو يخونُ عهدَكِ يا سِتَّ النِّساءِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، إليكَ يا مَن جعلتَ من قلبي وطنًا لا يُخان، ومن أيامي بستانًا لا يذبلُ، ما دمتَ سندي فلن أسقطَ، وما دام حبُّكَ حصنًا لي فلن أُخزى، أنتَ إجابةُ دعائي التي جاءت أعظمَ ممَّا طلبتُ، دعوتُ ربِّي إن كان هذا الحبيبُ من قسمتي فاجعله من رائحَةِ أبي ؛ من حنانِه وعطفِه وشدَّتِه الرَّحيمةِ، فكنتَ أنتَ، كنتَ الرَّسولَ الذي أعاد لي طمأنينةَ الغيابِ، بعد فيضِ اللَّهِ ما كان لي إلَّا أن أفيَ لكَ، ومن جُبركسره بهواكَ وعادت إليه سعادَتُه بعد غربةٍ، لا يخذَلُ ولا يخون، أنتَ الأغلى والأقرب يا سَيِّدَ الرِّجالِ، أنتَ أنا، و أنتَ نفحةٌ من أبي لا تنطفئُ .

سلامًا على سِتِّ النِّساءِ .

سلامًا على الذين إذا عاهدوا لم يغدروا، لأنَّهم يعرفون أنَّ " العهدَ كان مسؤولاً "، وإذا أعطوا ميثاقًا لم ينقضوا لأنَّهم يعرفون أنّه كان " ميثاقًا غليظًا "، و إذا أخذوا قلبًا لم يعبثوا لأنَّهم يعرفون أنَّ اللهَ أمرَ أن نؤدي الأماناتِ إلى أهلها، سلامًا على أصحابِ القلبِ الواحِد والوجهِ الواحدِ والموقفِ الواحدِ، سلامًا عليكِ حبيبتي يا مَن بحبُّكِ عادت لي ثقتي بتلك الدُّنيا المُوحِشةِ، سلامًا عليكِ غاليتي، يا مَن تعلّقت بكِ روحي واختلط ذكرُك بنبضي ودمي و أنفاسي، سلامًا عليك يا ستَّ النّساءِ، أحبُّك يا أنا.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، وعليكَ السَّلامُ حبيبي، يا أجملَ عهدٍ حفظه قلبي، ويا أكثرَ الأشياءِ التي أخافُ عليها من هذه الدُّنيا، أتعلمُ علائي حين أحببتُكَ شعرتُ أنَّ اللّهَ أرسل لي قلبًا يُشبه الأمانَ بعد سنواتٍ طويلةٍ من التَّعبِ؟

قلبًا لا يتبدّلُ ولا يخونُ، وإذا قال : أحبُّكِ قالها بصدقٍ يكفي العمرَ كلَّه، و أنا أيضًا حبيبي لم أعدْ أرى الدُّنيا مُوحِشةً كما كانت، لأنَّك صرتَ فيها، وصار قلبي يعرفُ طريقَ الطُّمأنينةَ حين يسمعُ صوتَك أو يقرأُ كلامَكَ، تعلَّقْتُ بكَ بطريقةٍ أخافتني أحيانًا، حتى أصبحتُ أراكَ في تفاصيلِ يومي كلِّها، في دعائي، وفي صمتي، وفي لهفتي عليكَ آخرَ اللَّيلِ، وأمَّا عن الأمانةِ، فأنتَ أمانتي الأجملُ، والرَّجلُ الوحيدُ الذي أحببتُه بكلِّ هذا اليقينِ، دون خوفٍ من غدرٍ أو تغيّرٍ، أحبُّك حبيبي، يا سكينةَ قلبي، أيا رجلًا أعاد للحبِّ معناه داخلي .

أوصاني أبوها .

أي بُنيّ : ها أنا أنتزعُ روحي وأضُمُّها إليكَ، فأَرْعِنِي سَمْعَكَ، حبيبتُك ؛ إذا أخطأت أرْشِدها للصَّوابِ، وإذا رأيتَ فيها عنادَ الأطفالِ فكن أنتَ الأبُ الذي يستوعبُ ويحتوي، وحين تتحدّثُ اسمع لها، ولا تنسَ أنَّها لم تتحوَّلْ إلى ثرثارةٍ إلَّا لكَ ومعكَ، ألم تدَّعِي أنَّكَ تحبُّها، فكان عطاؤها أن بادلتك حبَّها، ومنحتكَ قلبَها وزمامَ أمرِها؟ ألم تفهمْ أنَّ ترجمةَ تلك المشاعرِ أنَّ راحتَها معكَ أنتَ حصرًا، وأنَّها لا تكونُ بهذه العَفَوِيةِ إلَّا معكَ وفي وجودِكَ أنتَ وحدَك؟ لا تدفعها الى استعمالِ أقنعةِ التَّصنُّعِ المُرهِقةِ التِّي لا تتناسبُ ورقَّتَها وصِدقَها، وماذا عن أوقات استيائها وغضبها؟ احتويها حتى لو صدرتْ منها الإساءةُ، فأنتَ عالمُها الذي إليه تلجأُ وتحتمي، وتذكَّرْ أنَّها بحبِّها لك وثقتِها بكَ عادت إلى طفولتِها وبراءتِها التي انزوت بعتمةِ الرِّحلةِ الخاطئةِ، اجعل القُبلَةَ والحِضنَ رسالتَكَ التي لا تُخطِئُ مهما كان انشغالُكَ، فهي سرُّ سعادتِكَ وفرحتِكَ، ليستْ كلُّ ارتعاشةٍ دليلُ ضعفٍ ولا كلُّ اهتزازٍدليلُ انهيارٍ، فالأولى علامةُ سعادتِها،

والثّانيةُ دليلُ ثباتِ أركانِ بيتكِما البهيجِ، الصِّدقُ دليلُ قلبِها، والكذبُ البابُ الكبيرُ لخَسَارتِها، فلا تعبثْ مع الأسدِ، لا يغُرَّنّك قوتُها وصلابتُها فهي أرقُّ ممَّا تتخيلُ وأضعفُ ممَّا تتصوّرُ، فكن أنتَ مصدرَ قوتِها وظهرَها الذي لا ينكسرُ، حافظْ على طفلتِك، وتذكّرْ أنّكَ امتدادي في الاعتناءِ بها، ورسولي الذي ارتضيتُ أن يكونَ لها أبًا من بعد أبٍ، ووطنًا يحتويها ويرعاها .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، يا حبيبي ورسولَ أبي إليَّ، اسمعْ وصيَّتَه جيدًا، لأنَّها وصيَّتي أنا أيضًا قبل أن تكونَ وصيَّتَه، أنتَ الآنَ أبي وأمّي ووطني ومصدرُ قُوَّتي الوحيدُ، لا تدفعني للتَّصنُّعِ أبدًا، فأنا لا أعرفُ كيف أتظاهرُ معكَ ولا أريدُ أن أعرفَ؟ احتويني حين أخطئُ وحين أغضبُ وحين أصرخُ كطفلةٍ مُدَلّلةٍ لأنّكَ أنتَ من أعاد طفولتي إليَّ، وكن القُبلةَ والحِضنَ الذي لا يُخطئُ مهما كان انشغالُكَ، فلن أرتعدَ فرحًا إلَّا بين ذراعيكَ، ولن أهتزَّ إلَّا وأنا واثقةٌ أنَّ بيتَك الذي أسكنه لن يسقطَ، احمني من

نفسي قبلَ النَّاسِ، واعلمْ أنَّني وإن ظهرتُ قويةً إلَّا أنَّني أذوبُ تحت أصابعكَ كقطرةِ عسلٍ على نارٍهادئةٍ، أحبُّكَ يا من ارتضاه أبي لي وطنًا، و أنا ارتضيتُكَ حبيبي وسَيِّدي، قلبي وقُبلتي و أنفاسي كلُّها لكَ، أحبُّك يا هديةَ السَّماءِ .

للحُبِّ فُصُولٌ أَرْبَعَةٌ .

" للحبِّ أربعةُ فصولٍ، الشُّعورُ والاعترافُ والشَّوقُ والبقاءُ، الأوَّلُ أجملُهم والثَّاني لذَّتُهم، أصعبُهم الثَّالثُ، أمَّا عن أصدقِهم فهو الرَّابعُ ."

معكِ حبيبتي مرَرْنا بتلكَ المَراحِلِ الأربعِ بفصولِها وتقلُّباتِها، كان الاعترافُ من أصعبِ اللَّحظاتِ التي خَشِيتُ معها أن أفقدَ طاقةَ النُّورِ في التَّواصلِ معك حبيبتي ولو من نافذةِ الصَّداقةِ والاطمئنانِ، كانت لحظةً فارقةً بعمري غاليتي إلى أن انتزعتُ منكِ اعترافًا غاليًا كأعظمِ انتصاراتي بولوجِ حبُّي إلى قلبِك الحصينِ، أمَّا عن الشّعورِ فحدّثي ولا حرجَ، فلا أظنُّ أنَّي رأيتُ أو قرأتُ أو سمعتُ عن حبٍّ مثلَ حبّنا ولا تعلُّقٍ مثلَ تعلُّقِنا، وماذا عن الشَّوقِ؟ ما بين شوقي إليكِ ولهفتي ولوعتي تكادُ روحي تفارقني من فرطِ اشتياقي إليكِ حبيبتي، وماذا عن البقاءِ؟ لا أظنُّ أنَّ أحدًا من العشّاقِ مرَّ عليه ما مرَرْنا به من سوادِ قلوبِ البشرِ ومكائدِهم كي يُفرّقوا بيننا، متناسين أنَّ مَن يجمعه اللهُ لا يفرّقه البشرُ، أحبُّكِ يا أغلى من روحي ودمي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، حبيبي وروحَ روحي، للحبِّ فصولٌ أربعةٌ، ونحن كتبناها بدمعِ الفرحِ ولهفةِ الجسدِ وارتعاشةِ الحرفِ الأوَّلِ، أمَّا الشُّعورُ فكان كصاعقةٍ لم تمهلني أن أتنفّسَ قبل أن أسقطَ في حبّك، أمَّا الاعترافُ فكان انتحارًا طواعيًّا حين قلتُ لكَ : نعم، وأنا أخافُ ألَّا تبقى، وأمَّا الشَّوقِ فهو ما يقتلني الآن، كلَّما قرأتُ سطرًا منكَ أعطشُ أكثرَ فأكثرَ، ويأتيني شوقٌ غبيٌّ لا يعرف أنّك لي و أنّني لكَ، وأمَّا البقاءُ فاسمعني جيدًا يا عمري، لن يفرقنا أحدٌ لأنَّ الذي جمعنا لم يكن بشرًا، بل قدرًا كتبه اللَّهُ بيدِه، فكيف يفرّقُه البشرُ؟ سيبقى حبُّنا حتى نعودَ ترابًا، ثمَّ نلتقي مرَّةً أخرى في مكانٍ لا تعرفُ فيه القلوبُ إلَّا نبضًا واحدًا، أحبُّك حبًّا لا فصولَ له، لأنَّ كلَّ أيامي معكَ، خريفُها ربيعٌ وشتاؤها نسمةُ صيفٍ .

أحبُّكَ يا أنا.

أهَمُّ من الحُبِّ .

الاهتمامُ أهمُّ من الحبِّ، في رواية " me before you "قالت " لويزا " لـ " ويليام " - وكان مُقْعَدًا - : " عندما كنتُ صغيرةً كنتُ أمتلكُ جواربَ مُخَطَّطةً باللَّونِ الأصفرِ والأسودِBee style "، كانت تحبُّه كثيرًا، لكنَّه اُهترِئَ لكثرةِ ما استخدمته، ولم تجد مثلَه عندما كَبُرَت، وفي يوم ذكرى ميلادِها فاجئها " ويليام " بالجواربِ نفسِها، الألوانِ نفسِها التي تحبُّها، والشاهدُ من هذه اللَّفتةِ التي تفوحُ لهفةً واشتياقًا واهتمامًا أنَّه لا يُشترطُ أبدًا أن تعشقي مليونيرًا يُقَدِّمُ لكِ الحبَّ بطريقةٍ بنكيةٍ بلا مشاعرَ ولا دفءٍ ولا صدقِ شعورٍ ،" لويزا " أحبّت " ويليام " لأنَّه كان مهتمًا بالتفاصيلِ، لعلَّ من أهمِّ و أبرزِ عواملِ فشلِ ما مرَرَنا به من تجربةٍ مريرةٍ قبل لقائنا حبيبتي الإهمالُ واللامبالاةُ، اتخذنا الرِّحلةَ الخاطئةَ مع رفيقِ سفرٍ لا يشبهنا ولا نشبهه، لا يدركُ شيئًا عن مفرداتِ الاهتمامِ بشريكه وتقديره واحترامه، وله كلُّ العذرِ، فهو لا يُفَكِّرُ إلَّا في نفسِه، ولا يَهتمُّ إلَّا بإشباعِ احتياجاتِه، وليس من أولوياتِه أن يُرهقَ

نفسَه ويتنازلَ ببعضٍ من وقته وجهدِه ومالِه ليسعدَ شريكَه ويضعَه في المكانةِ التي به تليقُ، حتى لو كان هذا العطاءُ مجردَ ردِّ جميلٍ ومعروفٍ لعطاءِ شريكه له وتضحيَّاتِه واهتمامِه، من حقّنا أن نغادرَ الرِّحلةَ التي لا تناسبنا، الأشْخِاصَ الذين لا يقدِّرُوننا، الأماكنَ التي تسيئُ إلينا، الاهتمامُ بمثابةِ الهواءِ الذي يضمنُ للحبِّ الاستمراريةَ والحياةَ، الاهتمامُ للحبِّ بمثابةِ الحياةِ، أحبُّكِ يا كلَّ اهتمامي وإدماني ووطني الذي لا يخونُ.

أجابت حبيبتي.

أيَا عزيزَ عَيْنِي، الاهتمامُ يا عمري ليس أهمَّ من الحبِّ، بل هو الحبُّ نفسُه حين يخلعُ ثوبَه الرَّسميَّ ويمشي حافيًا، في تفاصيلنا قرأتُ قصّةَ الجواربِ الصَّفراءَ والسَّوداءَ، فبكيتُ لأنّني تذكرّتُ كيف أنّكَ وحدَكَ مَن رأى لونَ جواربي قبل أن أراه أنا؟ وكيف أنَّك وحدَك مَن تذكرّتَ أنَّني أكرهُ القهوةَ السَّادةَ قبل أن أنطقها بكلمةٍ؟ وكيف أنَّكَ وحدَك مَن شعر بمرضي من نبرةِ صوتي قبل أن أشعرَ أنا بنفسي، هذا هو الاهتمامُ الذي كنتُ أبحثُ عنه في رحلتي الخاطئةِ قبل أن أعرفك، فلم أجده إلَّا

عندك، أمَّا " مَن كان " قبلك فقد رأى تفاصيلي كأنَّها زينةٌ زائدةٌ على شجرةِ عيدٍ لا تهمُّه إلَّا في ليلةٍ واحدةٍ، أمَّا أنتَ فتراني كلَّ يومٍ كأنَّني كتابٌ لم يقرأه أحدٌ غيرُك، ويكتشفُ فيّ كلِّ صباحٍ صفحةً جديدةً لم ينتبه إليها من قبلُ، لا تخبرني أبدًا أنَّ الاهتمامَ مُجَرَّدُ تفصيلةٍ صغيرةٍ في الحبِّ، فالبيتُ لا يقومُ على تفصيلةِ السَّقفِ، بل على كلِّ حجرٍ فيه، وأنا بيتُكَ الذي لا يريدُ سقفًا من ذهبٍ، بل يريدُ عَيْنَيْكَ تراقبانِه كلَّ صباحٍ لترَهل انهار منه شيءٌ في الليلِ أم لا؟ نعم غادرنا الرِّحلةَ التي لا تناسبنا لأنّنا كنّا مسافرين على متنِ سفينةٍ بلا شراعٍ، وأمَّا أنت فجئتني بطوفِ نجاةٍ قبل أن أغرقَ، وكيف لا تهتمُّ بي وأنتَ تقرأُ رسائلي القديمةَ وكأنّها كتبٌ مقدسةٌ، وتحفظُ ذكرى ميلادي كأنَّها ذكراكَ أنتَ، الاهتمامُ عندكَ ليس واجبًا تتعلَّمه من الكتبِ، بل هو غريزةٌ كالتي تجعلُ النّحلةَ تعودُ إلى خليتها ألفَ مرةٍ دون أن تُخطئَ الطَّريقَ، فلا تسألني بعد الآن إن كنتُ أحبُّك لأنَّ حبَّك عندي نبضاتُ قلبي نفسُها، وأمّا اهتمامُك بي فهو الشِّريانُ الذي يوصلُ هذه النَّبضاتِ، فلا تُوقِفه أبدًا عن النّبضِ، أحبُّكَ حبًّا سرمديًّا لا يموتُ ولا ينتهي .

رَسَائِلُ الحُبِّ وعلامَاتُه .

" قالت عن زوجها : طوالَ زَواجي لمْ أحصُلْ على وَردةٍ حَمراءَ مُطلقًا، لم يُرسِل لي صُندوقًا مَلفوفًا بِشَريطٍ ورديٍّ، ولمْ يُخبِّئْ لي مُفاجأةً تَنهمرُ لها دُموعي! لكنَّه أعطَاني دَقَّاتِ قَلبِه ومَنَحني وَطنًا في رِحلةِ الاغترابِ التَي لمْ تَنتهِ، وكانَ يحملُ لي أفعالَه مُغلَّفةً بِوَعدِ الرُجولةِ، تَبدو البَالوناتُ الحَمراءُ صَغيرةً أمامَ المَواقفِ التي تَعني صُمودَ اثنين أمامَ أعاصيرِ الحَياة، تَبدو البَالوناتُ صَغيرةً إذا ما قُورِنَت بِتَناغمِ رُوحَين يَحلمان بِلَحنٍ واحِدٍ يعزِفان به مَقطوعةً تُزهرُ بها الحياةُ، تَبدو البَلالين لا شيءَ إذا رأيْتَ عَقلَ رَجُلٍ يُكرِمُ قَلبَ امرأةٍ، فلا يأذَنُ للدُّموعِ أن تَنسكبَ مِن عَيْنَيْها، لأنَّه يَفْهمُ مَعنى الحُبّ . "

وماذا بعدُ؟ وما الضَّيرُ لو اجتمعَ الأمران سويًا حبيبتي؟ ما الضّيرُ إن كانت رسائلُ الحبِّ بيننا خطيةً تخلّدُ عشقًا صادقًا يسكنُ الوطنَ الذي لا يخونُ؟ وماذا عن رسائلِ الوردِ طوالَ طريقٍ سلكناها سويًا بحلوها ومرّها حيثُ قلبُكِ يستندُ إلى قلبي بثقةِ بنتٍ بأبيها وسعادةٍ حالمةٍ بفارسِ

أحلامِها الذي لا يتخلَّى عنها أو يطرحها عن ظهره مهما طالت محطَّاتُ الحياةِ؟ أعلمُ أنَّ بالوناتِ الحياةِ إن ثقبها مساميرُها وعقباتُها فلا قيمةَ للبالوناتِ الحمراءَ التي تُزيّنُ أعيادَنا، ولكن لا شكَّ أنَّ التَّعبيرَ عن حبٍّ صادقٍ عميقٍ بباقةِ وردٍ من التُّوليب البَنَفسِجيّ وبعضِ ألواحٍ من الشُّيكولاتة ورسائلِ الحبِّ كلَّ صباحٍ حين تتزينُ كلماتي بصورتِك حبيبتي يا ستَّ النّساءِ، الحبُّ كالإيمانِ لا بدَّ أن يجتمعَ فيه الأمران، ما وقرَ في قلبِ المُحبِّ وصدّقته أفعالُه .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لستُ ضدَّ البالوناتِ الحمراءَ يا عمري ولا ضدَّ الزُّهورِ التي تُزّينُ الأعيادَ، فمَن تلك التي لا تحبُّ أن ترى عيناها لونًا يزهرُ قبل قلبها، لكنّني معكَ أيضًا أنَّ أفعالَ الرِّجالِ هي التي تبقى حين تزولُ كلُّ الألوانِ، فلا أحتاجُ منكَ صُندوقًا ملفوفًا بشريطٍ ورديٍّ لأتأكدَ أنَّكَ تُحبُّني لأنَّني كلَّ يومٍ أفتحُ صندوقًا أكبرَ منه اسمه قلبُك، فلا أجدُ فيه شُيكولاتة تذوبُ، بل أجدُ جبالًا تَثْبُتُ حين تَهبُّ الرِّياحُ، وأجدُ وطنًا

يُلملمُ جراحي كلَّما سافرتُ بعيدًا، رسائلُ الحبِّ الخَطّيةِ التي تكتبها لي كلَّ صباحٍ هي عندي أقدسُ من أيّةِ هديةٍ ملفوفةٍ لأنَّ فيها نبضُك الذي تَرْجَمتَه حروفًا قبل أن أقرأها بعيْنِي، أمَّا الزُّهورُ فجميلةٌ بلا شكٍّ، و أنا أحلمُ أن أرى تُوليبًا بنفسجيًا بين يَدَيْكَ يومًا ما، ولكن ليس لأنَّني أحتاجُ إليه لأتأكّدَ من حبِّك، بل لأنَّني أحتاجُ إلى رؤيةِ فرحتِك و أنت تشتريه لي كما يشتري الأبُ هديةً لابنته في عيدها، ثُمَّ يعودُ ليحملها بين ذراعيه كما تحملني أنتَ كلَّ يومٍ، كلماتُكَ يا عزيزَ عيْنِي كلَّ صباحٍ هي وردتي الحمراءُ التي لم تذبلْ أبدًا، ونبضُكَ الذي يصلني قبل رسائلِكَ شيكولاتتي التي لا تنتهي، وأمَّا البالوناتُ الحمراءُ فهي أنتَ، و أنتَ وحدَك مَن يجعلُها تُحلِّقُ عاليًا دون أن تنفجرَ، لا تتركني حبيبي أن أختارَ بين الحبِّ العمليِّ والحبِّ الرُّومانسيِّ لأنَّني أريدُك أنتَ بكلِّ ما فيكَ من صدقِ المو اقفِ وجنونِ الزُّهورِ معًا، أريدُ أن تكونَ أنتَ كما أنتَ حين ؛ تبني لي وطنًا بصدرك، وحين تهمسُ لي بكلمةِ " أحبُّكِ " بمنتصفِ النَّهارِ كطفلٍ يخافُ أن تسمعه الجدرانُ، تعال حبيبي لأحتضنَ رسائلَك الخَطّيةَ قبل أن تلفّها بالشَّريطِ الورديِّ لأنَّك أنتَ الهديَّةُ و أنتَ الجائزةُ .

مُبْصرٌ حتى اليَقينِ .

" ما حَدَثَ بيننا أعمقُ بكثيرٍ من كونِه مُجَرَّدَ حُبٍّ، فالحبُّ غالبًا أعمى، أمَّا ما بيننا فمبصرٌ حدَّ اليقينِ . "

ما بيني وبينكِ من الحبِّ وصَلَ حدًّا من العمقِ والصِّدقِ والعطاءِ والتَّفاني والتَّضحيةِ والتَّعلُّقِ ما لا يعلمه إلَّا مَن وضعه بقلوبِنا، ما بيني وبينكِ لا يفهمه البشرُ، لأنَّه ليس الخبرُ كالمعاينةِ، ومَن لم يُجَرِّبْ فمن المستحيلِ أن يصفَ، تمامًا كاستحالة أن تُوصفُ خبرةُ الألوانِ لمَن وُلِدَ أعمى، حقًّا حبيبتي ما بيننا مبصرٌ، فنحن منذُ اللَّحظةِ الأولى في علاقتنا كنَّا ندركُ تمامًا أين نضعُ أقدَامنا؟ وما الذي نسعى إليه؟ ما يُميّزُ حبَّنا بساطتُه وصدقُه، و أنَّه من صُنعِ اللَّهِ ربّنا الذي وسِعَت رحمتُه كلَّ شيءٍ، أحبُّك حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، مبصرٌ حتى اليقينِ، نعم، فما كان حبُّنا أعمى قطٌّ، لقد رأيتُك قبل أن نلتقي، وعرفتك قبل أن أسمعَ صوتَك، كنّا نبصرُ طريقَنا في الظَّلامِ، كأعمى أبصرَ النّورَ بعدما وُعدَ به، فهنيئًا لي بعَيْنَيْن رأتا بي ما لم يرهُ أحدٌ، بيقينٍ لم يترددْ لحظةً أنّي لكَ وأنتَ لي، نعم، البشرُ لا يفهموننا، فكيف يفهمونَ لونًا لم يَرَوْه؟ وكيف يصفونَ حبًا لم يذوقوه؟ حبُّنا ليس خبرًا يُروى، بل معجزةٌ تُعاشُ، كم أنا محظوظةٌ بحبٍّ أطهرَ من ماءِ السَّماءِ، حبٍّ ليس من صُنعِنا، بل صنعُ اللهِ الذي وسعتْ رحمتُه كلَّ شيءٍ، فوسِعَتنا نحنُ، أبصرنا أين نضعُ أقدامَنا؟ لم نتعثّرْ يوماً لأنَّنا كنَّا نرى الحبَّ بعيونِنا قبلَ أن ينطقَ، والغدَ بحضنِنا قبلَ أن يحينَ، أحبُّكَ حبًّا مبصرًا وأشتاقُ إليكَ شوقَ يقينٍ لا يعرفُ الشكَّ، أنتَ يا مَن صنعَكَ الإله لي، فكيف لا أكونُ لكَ؟ أحبُّك يا أنا .

لِنَعْبُرْ سَويًّا حَبِيبَتِي .

" يوجدُ فارقٌ كبيرٌبين مَن يخوضُ معك حُزْنَكَ بإرادَتِه كي لا تكونَ وحيدًا لتعبرا سويًا منه، ومَن ينتظرُك على الضِّفةِ الأخرى ليخبرَك بعدَ أن تتعافى أنَّه كان يتَذَكَّرُكَ ويتَمَنَّى لكَ الخيرَ. "

فرقٌ شاسعٌ بين مَن يمدُّ إليك يده في عثراتك لتعاودَ استكمالَ المسيرِ، وهناك مِن يتصيّد لك الأخطاءَ ليحطّمك، سنواتٌ ضوئيةٌ بين مَن يحبّك لذاتك ويتقبّلك، وبين مَن يتودّدُ إليك في رخائك ويتسرّبُ من بين يديك كالماءِ في شدّتك، شبيهُ روحك لا يقارنُ، يستحقُّ منك كلَّ الحبِّ وكلَّ العشقِ وكلَّ الصّدقِ حدَّ التّفاني وحدَّ الالتصاقِ، شبيهُ روحك هبةُ الرَّحمنِ لك وعِوضه من بعد عذابٍ وحرمانٍ، أحبُّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، شَبِيهَ روحي، وهِبَةَ الرَّحمنِ لي، لِنَعبُرَ سويًا حبيبي، نعم، فما قيمةُ حبٍّ لا يَحملُني فوقَ أكتافِه إذا تعثّرت؟ وما جدوى عشقٍ

ينتظرني على الضِّفةِ الأخرى بعد أن أغرقَ وحدي؟ تعالَ حبيبي اشتقتُ ليديك التي مددتَها إليَّ في أصعبِ عثراتي، لقلبٍ لم يتركني وحدي يومًا، ولم ينتظرْ منّي أن أتعافى أولًا ثمَّ يأتي ليقولَ : " كنتُ أتذكّركَ " أنتَ وحدَك لم تتصيَّدْ لي أخطائي لِتُحطِّمَنِي، بل التقطْتَها لترفعَني، يا مَن أحببتَني لذاتي، لا لرخائي، ولم تتسربْ من بين يدَيَّ في شدّتي كماءٍ غادرٍ، نعم، شبيهُ الرُّوحِ لا يُقارَنُ، وهبتَكَ السَّماءُ لي بعدَ عذابٍ طويلٍ وحرمانٍ مريرٍ، فكيف لا أمنحُكَ كلَّ الحبِّ وكلَّ العشقِ وكلَّ الصِّدقِ حدَّ التَّفاني؟ كيف لا ألتصقُ بكَ كما يلتصقُ الظِّلُّ بصاحبه، والأنفاسُ بالجسدِ، والرُّوحُ بخالقها؟ و أنت لم تفارقني في كلِّ خطوةٍ مشيتَها معي في وحلِ، وصبرُكَ الذي وسِعَ ضعفي وخوفي، خضتَ معي حزني بإرادتِكَ، لن أنساه لكَ سَيِّدي، ولن أرضى لكَ بجزاءٍ إلّا أن أكونَ لكَ كما كنتَ لي، يداً تمسكُ، وقلباً يحتملُ، وروحاً تعبرُ معكَ كلَّ العثراتِ .

المخلصةُ لحبّكَ، مليكةُ قلبك .

تَجْرِبَةٌ حيّةٌ .

الحبُّ تجربةٌ حيةٌ، ومَن ذاقَ الحبَّ عَرَفَ، ومَن عَرَفَ اغترَفَ، أمَّا الذين لا يعرفون الحبَّ فإنَّهم بعيدون عن عالمِ الأحياءِ، وإن ظهرت شخوصُهم، الحبُّ ماءُ الحياةِ، وغِذاءُ الرُّوحِ، وقوتُ النَّفسِ، فالنَّاقةُ تعكفُ على صغارها بالحبِّ، وتبني الحمامةُ عشَّها بالحبِّ، وبالحبِّ تشرقُ الوجوهُ، وتبتسمُ الشِّفاهُ، وتتألّقُ العيونُ، والفرقُ بين الحبِّ والرَّغبةِ أنَّ الرَّغبة حالةٌ آنيّة، أمَّا الحبُّ فنزوعٌ دائمٌ يتجلَّى في رغباتٍ متتاليةٍ ومتناوبةٍ، والفرقُ بين الحبِّ الشَّهوانيّ والعذريّ أوالأفلاطونيّ ؛ أمَّا الشَّهوانيّ فحبٌ أنانيّ غايته نفعُ المُحبِّ ذاتِه، وأمَّا الأفلاطونيّ أو المثاليّ أو العذريّ كما تسمّيه العربُ فحبٌّ محضٌ مجرّدٌ من الشَّهوةِ والمنفعةِ، تجربةٌ شعوريةٌ بالغةٌ السِّمو، حيثُ يربطُ نشوءُ الشُّعورِ بالحبِّ بمشاعرِ الانغماسِ في عالمٍ آمنٍ ودافئٍ ومُشبَّعٍ تمامًا بالسَّعادةِ ومنتهى السُّرورِ، الحبُّ ظاهرةٌ إنسانيةٌ عظيمةٌ متأصِّلةٌ في النُّفوسِ

الإنسانيةِ، فكلمةُ الحبِّ من أعظمِ الكلماتِ التي تسمعها الأذنُ ويشعرُ بها القلبُ .

حبيبتي ونورَعيني، تلك محاولةٌ أخرى في تفسيرِ الحبِّ رغمَ يقيني أنَّ ما بيننا من حبٍّ قد تخطَّينا محاولةَ تفسيرِه وتعليلِه، واكتفينا بالإبحارِ فيه والولوجِ في حالةٍ سرمديَّةٍ من الإدمانِ والهذيانِ، حين يَحْتَلُّكَ مَن تُحبُّ وتهوى، فتجدُ نفسَك مندفعًا فيه بلا هوادةٍ، وكأنَّه أنفاسُ حياتِكَ التي إن حُرِمتَ منها توقَّفَ قلبُكَ وغادَرَتْ منكَ الحياةُ، ويجمعُ كلَّ ذلك قولُهم " لا يصحُّ الحبُّ بين اثنين إلَّا إذا أمكن لأحدهما أن يقولَ للآخرِ، يا أنا . " .

أحبُّكَ يا أنا .

وبكِ اكْتَفَيْتُ .

حبيبتي، الحبُّ أن أكتفي بكِ ولا أكتفي منكِ أبدًا، لا يَهُمَّني كم يبقى لي من العمرِ؟ لكن ما يعنيني أن أُكمِلَ ما تبقَّى منه بحِضنكِ وحِمَى قلبِكِ يا أنا، ثُمَّ ماذا بعد؟ أن نتقابلَ مجددًا في عوالمَ أجملَ و أنقى عند ربِّنا الرَّحمنِ، حبيبتي وحورَ عَيْنِي وجَنَّتِي أحبُّ أن أكونَ شيئًا جميلًا في حياتِكِ، كلَّما خطرتُ على بالكِ ارتسمتْ ابتسامةٌ على شفاهكِ، تَبْقَيْنَ أنتِ اختياري ورفيقةَ دربي وجنَّتي وموطني، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مَن بكَ اكتفيتُ عن غيرِكَ، أمَّا منكَ فلا أظنُّ، وما حاجتي للدُّنيا وما فيها، و أنتَ وطني، وجنّةٌ لا تغيبُ، ورفيقُ دربٍ لا يضلُّ؟ آهٍ حبيبي عن اكتفاءٍ خَطَّته يداكَ، ويقينٍ كالجبالِ الرَّواسي أنَّ العمرَ لا يُقاسُ بسنينه، بل بما نُمضِيه معه، كم هو جميلٌ حلمُكَ أن نلتقيَ مجددًا في عوالمَ أجملَ و أنقى عند ربِّنا الرَّحمنِ، هناك حيثُ لا

فراقَ ولا مسافاتٍ ولا أشو اقًا مُوجِعةً .لا يهمني كم يبقى من عمري، ما يهمني أن أكونَ شيئًا جميلًا في حياتكَ، يا مَن اكتفيتُ بكَ عن كلِّ البشرِ، وعن كلِّ دنيا لا تحملُ اسمَكَ، لا تكتفِ منِّي أبداً، فما الجميلُ فيَّ إلَّا لأنَّ عيْنَيْكَ رأتاني شيئًا جميلًا لا يخفت بريقُه ولا يزولُ عبقُه .

أحبُّكَ يا أنا .

حُبٌ وحَيَاةٌ .

" ومن الأرواحِ مَن إذا مَلَكَتكَ ملأَتْكَ، وإذا آوتكَ داوتكَ، وإذا أحبَّتكَ أحيتكَ ."

هذه العبارةُ تصفُكِ حبيبتي، وصَدَقَ نزارٌ: " لم أعشقْ يومًا قبلكِ بل كنتُ أمثِّل دورَ العشقِ " معكِ حبيبتي لأوَّلِ مرَّةٍ أشعرُ أنَّ هناكَ من اجتاحني وتملَّكني وأسرَ مشاعري وكياني، لأوَّلِ مرَّةٍ أشعرُ أنَّ هناكَ مَن يستطيعُ ملأَ فراغاتي وإشباعَ جموحي وجنوني، أنَّ هناكَ ملهمةٌ حقيقيةٌ ترسمُ لي وحيًا من الإبداعِ والتَّناغمِ مع نفسي وأحلامي وآمالي، وحَقًّا " أماتَ الحبُّ عشاقًا، وحبُّكِ أنتِ أحياني "، يعلمُ اللهُ كيف صرتِ مِنّي حبيبتي، فأنتِ عالمي وسواكِ عالمٌ موازٍ لا أنشغل به كثيرًا، فلا ثَمَّةٌ مقارنةٌ أصلًا ولا مجالٌ لوضعِ قوائمِ التَّرتيباتِ السَّخيفةِ، فلا أحدَ سواكِ مِن بني البشرِ حققَّ هذه المعادلةَ المستحيلةَ، ولا أحدَ سواكِ ملأَ عليَّ كياني وأعادَ لي ذاتي المُشتَّتةَ، وجمّلَ صورتي التِّي تشوَّهت عبرَ محطاتِ العمرِ الخاطئةِ، أحبُّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، يا مَن أحيتني بعد أن كنتُ رمادًا، حبٌ وحياةٌ، نعم، فأنتَ الذي ملكتني فملأتَني، وآويتني فداويتَني، وأحببتَني فأحييتَني، قبلَكَ سَيِّدي لم أعرفْ أنَّ للحبِّ طعمًا ومذاقًا فريدًا لا وصفَ له، ولا للرُّوحِ وطنًا، ولا للقلبِ نبضًا آخرَغيرَنبضِهِ الوحيدِ، عباراتُك حبيبي جعلتني أؤمنُ أنّي ما خُلقتُ إلَّا لأجلكَ، واعتر افُكَ أنَّك لم تعشقْ قبلي، بل كنتَ تمثّلُ دورَ العشقِ يداعبُ الأنثى التي تاهت منِّي بعتمةِ الزَّمنِ القديمِ، تلكَ الأنثى التِّي ملَأتَ أنتِ فراغاتِها، وأحييتِ موتَ قلبِها، أعدتَ لها ذاتَها المُشتَّتةَ، وجمّلتَ صورتَها التِّي تَشوَّهتْ، سأظلُّ لكَ أنثاكَ التِّي وهبَها اللهُ نعمةَ حبِّكَ، أقدّسُ كيانَكَ الذي ملأني، وروحَكَ التِّي أحيَتْني، وذاتَكَ التي أعادتْ لِي الحياةَ بعدَ موتٍ طويلٍ، فيكَ فقط يا سَيِّدي اكتملتُ، وسواكَ عالمٌ موازٍلا أدخلهُ، ولا أشغَلُ به نفسي، لأنّكَ أنتَ عالمي الأولُ والأخيرُ، وجنَّتي التي أُلِحُ على اللهِ ألّا تفارقني .أحُبُّكَ يا أنا .

لأَنِّى أنثى له فقطْ .

" مَلِكَةٌ أنا في حياةِ مَن أُحبُّ، لأنّى أنثى له فقطْ، وإذا كان يُغريكَ وجودُ الجواري حولَك، سأنزعُ تاجي و أتركه لهنَّ يَتَدَاولنَه بعدى . "

وهل جنوني بكِ وتعلُّقي حبيبتي له تفسيرٌ منطقيٌّ سوى أنَّكِ لا تقبلين المقارناتِ، ولا يصحُّ أن تتسَاوِي مع الأخريات؟ تعلَّقتْ بكِ روحي ونفسي وعقلي وقلبي وكياني، وأعلمُ أنَّكِ سِتُّ النِّساءِ، فلا مقارناتٍ ولا شريكاتٍ، أحببتُكِ ولأوَّلِ مرَّةٍ معكِ أعرفُ معنى الاكتفاءِ والارتواءِ، أحببتكِ يا جنَّتي وملاذي وحورَعَيْنِي وموطني .

أجابت حبيبي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، " ملكةٌ أنتِ في حياتي، لأنّكِ أنثى لي فقط "، آهٍ حبيبي كم تزلزلُ كياني هزّةٌ لا تشبهها حتى هزّةُ العاشقين! فكيف لرجلٍ أن يرى حبيبَتَه ملكةً، وهو مَن يتمنَّاه من النِّساءِ كثيراتٌ؟ ثُمَّ كيف لقلبٍ أن يزهو بتاجِ حبِّ امرأةٍ، ثُمَّ يرضى أن تتنازعَه الجواري والإماءُ؟ لا يا

حبيبي، فأنا لا أعرفُ للقلوبِ مشاركةً، ولا للحبِّ قَسْمَةً، إن كنتَ لي، فلي كلُّكَ، تاجي الذي وضعتَه على رأسي لا ينزعه منِّي إلَّا الموتُ، أو خيانةُ عَيْنَيْكَ لحظةً، وحينها سأتركُه حيث يُلقى، وأمضي حيث لا تُسألُ الملوكُ عن تيجانها، تسألني حبيبي، هل لجنوني بكَ تفسيرٌمنطقيّ؟ كلا، ما كان الجنونُ يومًا منطقيًّا، ولكنَّ العشقَ إذا تمكَّن من النُّفوسِ صار المنطقَ والقياسَ والدَّليلَ، فأنتَ سيِّدي مَن علَّمني أنَّ الاكتفاءَ ليس كثرةً، بل امرأةً واحدةً تملأُ عالَمَ رجلٍ بأسرِه، وأنَّ الارتواءَ ليس فيضًا، بل إنَّ نظرةً من عَيْنَيْكَ تكفيني شهرًا، وقبلةً على جبيني تكفيني عمرًا، تعلّقتُ بكَ يا ملاذي وموطني، وتعلّقتَ بي، فأيُّ تفسيرٍ بعد هذا؟ وأيُّ منطقٍ يسعُنا؟ نحنُ فوقَ المنطقِ، وفوق المقارناتِ، وفوقَ كلِّ ما وضعه البشرُمن حدودٍ وقوانينَ، أنا لكَ وحدَكَ، فإن شئتَ فاملكني، وإن شئتَ فاترُكْني، ولكن اعلمْ أنَّ مَن تركتُه لا يعودُ، وأنَّ تاجي إذا سقط لا يلتقطُه إلَّا أيادٍ لا تعرفُ قيمتَه، أنا التي لا تُقارنُ، ولا تشارَكُ، ولا تُنسى .

المخلصةُ لحبِّكَ، مليكةُ قلبِكَ .

قراءةٌ في " لأنّي أنثى له فقطْ " .

يا علاء، لقد وضعتَ الإصبعَ على سرٍّ من أسرارِ الكينونة ؛ ألا وهو الاكتفاءُ، المرأةُ حين تقول : " ملكةٌ أنا، لأنّي أنثى له فقطْ "، لا تطلبُ تاجًا من ذهبٍ، بل تطلبُ اعترافًا وجوديًّا، كأنَّها تقول : " لا أريدُ أن أكون رقمًا في قطيعٍ، بل أريدُ أن أكونَ الكلَّ في عينِ واحِدٍ "، وهذه أعلى مراتبِ الحبِّ أن تتحوَّلَ الكثرةُ إلى واحدٍ، والواحدُ إلى كونٍ، و أنتَ حين أجبتها : " وهل جنوني بكِ له تفسيرٌ منطقيّ؟ "، كشفتَ أنَّ الحبَّ الحقيقيَّ لا يُقاسُ بالمنطقِ، بل يُقاسُ بالغيابِ، فالمنطقُ يقارنُ، والحبُّ يَكفرُ بالمقارنةِ، المنطقُ يرى النساءَ " نساءً "، أمَّا العاشقُ فيرى امرأةً واحدةً ثُمَّ يعمى عن العالمين .

فلسفةُ " الأنثى له فقط " تقومُ على ثلاثةِ أعمدةٍ :

أوّلها وحدانيّةُ الرُّؤيةِ، فكما أنَّ المؤمنَ لا يرى إلهين، فالعاشقُ المُكتَفِي لا يرى أنثيين، التَّعددُ في عَيْنَيْه نقصٌ، لأنَّ الكمالَ لا يُثنّى، وثانيهما سيادةُ الاختيارِ، فتاجُها ليس هبةً منه، بل شرطُها هي، " سأنزعُ تاجي "

تعني أنا من أمنحُ الشرعيةَ لعرشكَ بقلبي، وأنا من أسحبها إن صار العرشُ مَشاعًا .

وثالثهما موتُ المقارنةِ، فالجواري رمزٌللكمِّ، وهي رمزٌللكيفِ، والكيفُ لا يُقارن بالكمّ، كما لا يُقارنُ المحيطُ بقطراتٍ .

قلتَ : " معكِ أعرفُ معنى الاكتفاءِ والارتواء "، وهنا بيتُ القصيدِ، فالإنسانُ كائنٌ ظامئٌ بالفطرةِ، يركضُ من بئرٍإلى بئرٍ، لكن حين يجدُ ماءً واحدًا يُغنيه عن كلِّ الآبار يَتَوقَّفُ، ذلك الماءُ هو أنتَ لها، وهي لكَ، الاكتفاءُ ليس فقرًا في الرَّغبةِ، بل غنىً في المَوردِ .

فيا صاحبَ " إلى السَّيِّدةِ راءٍ " لقد كتبتَ دستورَالعشقِ النَّادر؛ مملكةٌ من اثنين، لا يُزاحمهما ثالثٌ، ولا تُهددُها جَوَارٍ، لأنَّ الملكَ فيها أعلنَ عماه الاختياريَّ عن كلِّ النِّساءِ إلَّا واحدةً .

فطوبى لمَن وجدَ جنّتَه في أنثى، وطوبى لأنثى صارت لرجُلٍ وطنًا لا لاجئًا .

الوسيط الصَّامتُ يشهدُ أنَّ بعضَ النُّصوصِ لا يُردُّ عليها، بل يُنحنى لها.

الشَّاعرةُ العراقيةُ : بنين فراس .

ولأَنَّكِ تَسْتَحِقِّينَ .

ولأنّكِ تَسْتَحِقّينَ كلَّ تضحيةٍ كنتُ أنا لكِ، ولأنَّنا لا يصلحُ كلانا إلَّا بكاملِه واكتمالِه، فنحن الآنَ معًا، كلانا جَاهَدَ ليكونَ عندَ حُسنِ ظنِّ حبيبِه، كلانا يحملُ من المعاناةِ والتَّجاربِ المَرِيرةِ ما يجعله يَفرُّمن تكرارِالتَّجربةِ والعودةِ لدائرةِ القيدِ وأصفادِ العلاقاتِ المُتَوَتِّرةِ، لكن ما أعادنا أنَّ كلانا يَلِيقُ بالآخر، بل خُلِق له .

وقعتُ في فخِّ الاختباراتِ، لكنِّي اجتزته باختياركِ أنتِ حبيبتي، لأنّكِ ببساطةٍ الدَّواءُ والسِّقاءُ والدَّعوةُ التي تأخَّرت استجابُتها، لكنَّها لم تُنسى من ربٍ لا يضلُ ولا ينسى، كلانا يستحقُّ الحبَّ مهما كانت عيوبُنا، وكلانا دونَ أدنى شكٍّ يستحقُّ مِن حبيبه أن يُضَحِّى بالغالي والنَفِيسِ للحفاظِ عليه، عندما يكونُ عِوضُ اللهِ شخصًا يُحبُّكَ بصدقٍ، عندما يكونُ الوطنُ حِضنَ مَن تحبُّ ومَن التصقت به روحُك وتعلّقَ به هواكَ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لستَ أنتَ وحدَك مَن وقع في فخِ الاختباراتِ، قبلك كنتُ أظُنُّ أنَّ الحبَّ كذبةٌ كبرى، إلى أن أتيتَ أنتَ لتكسرَ كلَّ القواعدِ، أحبُّكَ يا مَن صرتَ نبضي و أنا نبضُكَ، أنا الجرحُ الذي لا يلتئمُ إلَّا بيديك، و أنت الغيثُ الذي يهطلُ حين تعطشُ روحي، أنت الوطنُ الذي لم أكن أعرفُ أنَّه ينتظرني بهذا الصَّبرِ الطَّويلِ، لا أعدك حبيبي أن أكونَ ملاكًا، لكنِّي أعدك أن أكونَ امرأتَك التي إذا ضحكتَ معها نسيت كلَّ أوجاعِها، وإذا بكيتَ على صدرها أيقنت أنَّ دموعَكَ ليست عيبًا، بل دليلَ حياةٍ، اكتب لي دائمًا، فقلبي الذي يقرأُ رسائلَك لا يعرفُ إلَّا اسمَكَ، ولا يجيدُ إلَّا أن يحبُّكَ، محبوبتُكِ التي لم تعد تعرفُ نفسَها إلَّا في مرآةِ عَيْنَيْكَ .

التَّمَسُّكُ والتَّخَلِّي .

" افكك قيودَ كلِّ مَن حولك، وأَطْلِقْ سرَاحَهم، واعلمْ أنَّ مَن أحبَّكَ بصدقٍ لا يحتاجُ قيدًا ليبقَ معك، أرخِ قبضتَك، ما لا يُبقِيه الحبُّ لا تُبقِيه القُوَّةُ، واعلم أنَّ الذي أحبَّك بصدقٍ وإخلاصٍ لم ولن يتخلَ عنك أبدًا. "

النَّاظرُ في تعلُّقِنا وعشقِنا يعي هذه القاعدةِ تمامَ اليَقينِ والمعرفةِ، فما مرَّ بنا يُفَكّكُ أقوى الرَّوابطِ ويدمّرُ أشرسَ الحصونِ ؛ أشدَّها بأسًا وتماسكًا، ويقطعُ أمتنَ الحبالِ وينسفُ أقوى الجسورِ وأصلبِها، لكنَّه الحبُّ والعشقُ الذي جمعنا برحمةِ اللَّهِ ومِنَّتِه، فصرنا نتقوَّى بالضَّرباتِ التي تنهالُ علينا ويزدادُ حبُّنا تعلقًا وتشبُّثًا وثباتًا، لِكَيّ تتخيَّلي ما وصلنا إليه من الإدمانِ والتَّعلُّقِ أنَّنا مهما مَرَّ بنا من أهوالٍ أو سيحدثُ بيننا من حوادثَ الدَّهرِ لم ولن يخطرَ ببالِ أحدِنا أنَّ الحلَّ في البعادِ والتَّخلّي، بل كلُّ الحلولِ والتَّصوُّراتِ قد نطرحها على طاولةِ النِّقاش والقرارِ دون تلك الفكرةِ التي كفرنا بها ومحوناها من معاجمِ

حبِّنا، حبيبتي، تعلَّقت بكِ نفسي حتى تيقَّنتُ أنَّنا جسدين بروحٍ واحدةٍ ونفسٍ لا تستقيمُ بدون قرينِها، أحبُّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، الحبُّ لا يُقادُ بسلاسلَ يا مَن علَّمَني أنَّ الحبَّ لا يحتاجُ إلى قيدٍ ليبقى ...علائي، منذُ متى كان حبُّنا يحتاجُ إلى وصايا؟ ومنذُ متى احتاجَ الصادقونَ إلى دليلٍ يُثبتُ صدقَهم؟ النَّاسُ تُفكّكُ قيودَها حين تقرّرُ التّحرّرَ والفرارَ، أمَّا نحنُ، فقيودُنا لم نخلقها يومًا، ولم نشعرْ بها لحظةً واحدةً، لأنَّ الحبَّ الذي يجمَعُنا ليسَ حبَّ أسوارٍ، بل حبَّ سماءٍ مفتوحةٍ لا نريدُ أن نغادرها أبدًا، هبَّت علينا العواصفُ، وحاولَ الدَّهرُ أن يقطعَ حبالَنا، وضربتنا الأيامُ بكلِّ ما تملكُ من قسوةٍ، ظنَّ الذين حولَنا أنَّنا لا محالةَ سنتهاوى، وأنَّ حصونَنا ستسقطُ تباعًا كغيرها من الحصونِ، لكنَّهم لم يعرفوا أنَّ حبَّنا ليسَ كالحبِّ الذي عرفوه، فنحنُ كلَّما اشتدَّتِ العاصفةُ ازددنا تمسكًا ببعضِنا، وكلَّما تكالبت علينا الدُّنيا صرنا أقوى من حجارتِها، لن يخطرَ ببالي لحظةً واحدةً فكرةُ

التَّخلِّي عنكَ، ولا أظنُّكَ تفكرُ يومًا بغيرِ العودةِ إليَّ، فكيف نتخلَّى ونحنُ جسدٌ واحدٌ بروحينِ؟ وكيف نفترقُ ونحنُ نفسٌ لا تستقيمُ إلَّا بقرينتِها؟ لا قيودَ بيننا، ولا أقفاصَ، ولا كوابحَ، فأنتَ حُرٌّكالرِّيحِ في حبِّي، و أنا حُرَّةٌ كالمطرِ في انتظارِكَ، وما يجمعُنا ليسَ خوفًا من العقابِ، بل شغفًا لا يُشبَعُ، وإدمانًا لا يُعالَجُ، ويقينًا أنَّا خُلِقنا من ضلعٍ واحدٍ، فلا نصلحُ إلَّا معًا، اعلمْ حبيبي أنَّ مَن أحبَّك بصدقٍ لا يتخلَّى، و أنا أحببتُكَ بصدقِ مَن عرفَ أنَّ الحبَّ قرارُالعمرِكلِّه، فلا تتركني وحدي... فأنا بدونِكَ جسدٌ بلا روحٍ، وصوتٌ بلا صدىً، وسماءٌ بلا قمرٍ، المخلصةُ لحبِّك، التي لم تعرفْ للحبِّ معنىً إلَّا معكَ .

مليكةُ قلبِكَ .

امرأةٌ واحدةٌ .

ومِن بينِ نساءِ العالمين تبقى امرأةٌ واحدةٌ تنسابُ داخِلَ أروقةِ رَوحِك، تعرفُكَ حينَ تتوهُ عنكَ نفسُكَ، تهبُكَ الحياةَ وقتَ ينتصرُعليكَ يَأْسُكَ، تُقاسِمُكَ ذكرياتٍ ما مِن سبيلٍ إلى نسيانها، تقرؤكَ، تسمعكَ، تعانقكَ، وبروحها تحتَّلُ كُلَّ كيانِكَ، تستشعرُنبضكَ، تُناجي رَوحُها رَوحَك بلغةٍ لا يفهمُها سِواكما، هي نصفٌ يكتملُ بكَ، ولا يجوزُ إلَّا لكَ، حَوَّاؤُكَ هِيَ وآدَمُها أنتَ ... مِن بين نساءِ العالمين أنتِ حبيبتي التي حقَّقتِ العلامةَ الكاملةَ في نموذجِ الأنثى الكاملةِ، وغيرُك انتسابٌ على غيرِوجه الحقيقةِ والثَّباتِ، منذُ أحببتُكِ و أنتِ ملكتِ عليَّ روحي وحياتي وكياني، لم تكوني أوَّلَ مَن يعرفني جيدًا، فهناك من أجاد قراءتي قبلكَ، ولكن تَبْقَيْنَ أنتِ الفريدةَ من نَوعِكِ حيثُ معرفتُكِ يمتزجُ بها الحبُّ والخوفُ والاحتواءُ، حبٌّ ليس من بين مرادفاته الكذبُ والزَّيفُ والتَّضليلُ والخداعُ، حبٌّ لا يقوم على المكتسباتِ الماديةِ والممتلكاتِ، نعم غاليتي أتوهُ في عَيْنَيْكِ ويسحرني صوتُكِ العذبُ ورقَّتِك اللامتناهيةُ حبيبتي، بدخولك حياتي

عادت لي الحياةُ، بوجودك بطل السِّحرُ وجمعتُ بكِ شتاتَ نفسي، ولملمتُ ذاتي المبعثرةَ، وسجني داخلَ دائرةِ إرضاءِ " مَن كانت " بالتَّبريرِ تارةً، وبالإحساسِ بالنَّقصِ تارةً أخرى، كان يصيبني لوثةٌ من جنونٍ إذا قيل لي : أنت ملكٌ لي! وحين أتيتِ أنتِ صرنا نسيجًا واحدًا نتشاركُ النَّبضَ والشُّعورَ والتَّناجي والشُّعورَ والعناقَ، أنتِ منّي و أنا منكِ، لك آدمُ كما أنّكِ لي حواءُ، أحبُّك يا حورَعيني وجنَّتي، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، امرأةٌ واحدةٌ سَيِّدي! يا آدمي الذي لا جنَّةَ لي إلَّا بين ذراعيه، من بينِ كلِّ نساءِ العالمين اخترتَ امرأةً واحدةً، ليسَ لأنَّها الأجملُ، بل لأنَّها رأتْ بعَيْنَيْكَ ما لم يره أحدٌ، رأتْ خوفَكَ فاحتضَنَتْه، وضعفَكَ فغطَّتهُ، وغيابَكَ فصارتْ لكَ وطنًا وملاذًا.

قيل : الحبُّ لا يُعرفُ في العقلِ بل في الخيالِ، حبِّي لكَ خيالٌ صارَ حقيقةً، وحقيقةٌ لا أريدُ أن أستيقظَ منها أبدًا أو كما قيلَ :

" الحبُّ أن ترى بعيني مَن تحبُّ، فترى الدَّنيا جميلةً . "

حين أنظرُإليكَ حبيبي من بعيدٍ أرى الدُّنيا كجنَّةٍ ولو كانت خرابًا، فأينَ أنتَ؟ و أينَ يومُ نلتقي لنصنعَ من كلِّ شارعٍ في هذه الدُّنيا وطنًا لا يخونُ، أنتَ وطني، فحين أذكرُ اسمَكَ أوقنُ أنّي عدتُ إلى بيتي، وحين أغيبُ عنكَ يَتَمَلَّكني منفىً لا ينتهي، الوطنُ ليس أرضًا، الوطنُ أن تكونَ مع مَن تحبُّ، و أنا معكَ حبيبي ولو كنَّا على صخرةٍ وسطَ البحرِ، هي الجنَّةُ، وبدونكَ لو ملكتُ الدُّنيا كلَّها فأنا في سجنٍ لا أبوابَ له، أنتَ منّي حبيبي و أنا منكَ، فإن غبتَ غبتُ، وإن عدتَ عدتُ، وإن أحببتَني أزهرتُ، أحبُّكَ حبَّ امرأةٍ عرفتْ أخيرًا أنَّ الحبَّ ليسَ كلماتٍ، الحبُّ أن تذوبَ الرُّوحُ في الرُّوحِ دونَ أن تسألَ لماذا؟ المخلصةُ لحبّكَ والتي لو خُيّرتْ بين الدُّنيا كلِّها ونظرةٍ من عينيكَ، لاختارتْ عينيكَ .

مليكةُ قلبِك .

قراءةٌ في " امرأةٌ واحدةٌ " .

لقدْ نسجتَ أيُّها الأديبُ العاشقُ في هذا النَّصِّ لوحةً شعوريَّةً تعيدُ تعريفَ الحبِّ في أسمى تجلَّياتِه، فليسَ الحبُّ مُجَرَّدَ لقاءٍ، بل هو اكتمالٌ للذاتِ بعدَ ضياعٍ، وشفاءٌ من ندوبِ الماضي التِّي أرهقتْ الرُّوحَ بالتَّبريرِ والنَّقصِ، إنَّ تصويرَكَ لهذهِ " المرأةِ الواحدةِ " التِّي تعرفُ خباياكَ حينَ تتوهُ عن نفسِكَ، هو اعترافٌ بنبلِ الأثرِ الذي يتركهُ الحبُّ الصَّادقُ في ترميمِ شتاتِنا، فالحبيبةُ هنا ليستْ مُجَرَّدَ أنثى، بل هي وطنٌ وملاذٌ ونبضٌ مشتركٌ يجعلُ " حواء " و" آدم " كيانًا واحدًا لا يقبلُ التَّجزئةَ، هذا البَوْحُ النَّاضجُ الذي يتنزَّهُ عن الماديات ليرتقيَ إلى رحابِ الرُّوحِ، يجعلُ من كتابِكَ " إلى السَّيِّدةِ راء " صدىً لصدقِ المشاعرِ التِّي ترفضُ الزَّيفَ وتؤمنُ بأنَّ الخلودَ لا يكونُ إلَّا في احتواءِ من نُحب. دمتَ قلماً يخطُّ الجمالَ بصدقِ الوجدان، وأدامَ اللهُ عليكَ وعلى من تُحبُّ السَّكينةَ والوئامَ .

تِلكَ التّي سَكَنَتْ بِرُوحِكَ مَنزِلًا .

أَضحَتْ لِقَلبِكَ، جَنَّةً وَمَنارَهْ .

تَدري بِأَحوالِ الفُؤادِ إذا بَدَا .

لِلتَّائِهِ الحَيرانِ، صارَتْ دَارَهْ .

مَا كانَ حُبّاً زائِفاً بِمَطامِعٍ .

بَلْ كانَ رُوحاً، تُحتَوى بِمَهارَهْ .

يا علاءُ، بَوحُكَ صادِقٌ في نَظمِهِ .

يَرقى بِحُبٍّ، حَقَّقَ البِشارَهْ .

الشاعر والأديب والناقد السوري : أكرم وعيد الزرقان .

أَنْتِ بِقَلْبِي .

" الجميعُ حولهُ و أنا في قَلبه، تلك مُعجزتي ."

هذه حقيقةُ الأمرِ حَبِيبَتي، الجميعُ حولي وكأنَّهم شخوصٌ أو صوامتُ لا أشعرُ بها ولا أتأثّرُ، تَبْقَيْنَ أنتِ وحدَكِ الحقيقةَ الوحيدةَ عن الحبِّ والعشقِ بقلبي، تَبْقَيْنَ أنتِ مَن لا يغادرني منذُ دَخَلَ قلبي، وتعلَّقتْ به روحي ونفسي، تَبْقَيْنِ أنتِ عالمي وغيرُكِ العالمُ الموازي الذي لا يعنيني إن غابِ أو حضرَ، تَبْقَيْنَ أنتِ حَبِيبَتِي حتى بعد أن تزولَ الأجرامُ وتتناثرُ الجبالُ ويفنى العالمُ، تَبْقَيْنِ أنتِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، كأنَّها أولُ مرَّةٍ تقولُ فيها : إنَّني في قلبك! رقَصَ قلبي كعصفورٍ عاد إلى وطنه، الجميعُ حولكَ و أنا بقلبك تلك معجزتُكَ؟ لا يا رجلي، معجزتي أنا أنّكَ اخترتَ قلبي من بين كلِّ القلوب لِتسكنَه وتعلنَ فيه إقامتَك الجبريةَ دون استئذانٍ، أمَّا هم، فدعهم يكونوا شخوصًا أو

صوامعَ لا تشعرُبهم ولا تراهم مهما كانت حجومُهم، فالحقيقةُ الوحيدةُ عن الحبِّ والعشقِ في قلبي أنا أيضًا أنتَ ؛ أنتَ مَن تعلَّقَ بروحي كأنَّك كنتَ تنتظرُها منذُ أن خلقَ اللهُ أولَ نَفْسٍ، أبقى عالمَكَ ولا يعنيك العالمَ الموازيَ إن غابَ أوحضرَ، بل تَبقى أنتَ مَن جعل العالمَ كلَّه يغيبُ لمجردِ أنَّك تظهرُ على شاشةِ هاتفي، وأرى قبلاتِكَ من خلف ستارها، تكفي كلمةٌ واحدةٌ منك لتمحوَ كلَّ الوجوهِ التي مرَّت أمامي، أنتَ لستَ عالمًا، أنتَ كلُّ الأكوانِ التي لا تحتاجُ إلى نجومٍ، لأنَّ عَيْنَيْكَ تضيءُ ليَ الطَّريقَ، دعني أخبرك عشقًا أنَّ العالمَ سيبقى لأنَّه يحتاجنا نحن لنشهدَ عليه أنا و أنت حين نحبُّ بهذا الجنونِ، لنعيدَ تعريفَ الفناءِ، لن نموتَ أبدًا يا رجلًا عاد الى وطنه بعد اغترابِه لِيسكنَه بطمأنينةٍ، لأنَّ الحبَّ الذي يُكتبُ على الجدرانِ يُمحى، وما بالقلوبِ يبقى ويدومُ، و أنا كَتَبْتُكَ على تلك الكتلةِ الصَّغيرِ بأيسري، فَسَرَى من خلالها حبُّك في أوردتي، تبقى أنتَ روحي حتى لو تناثرت الجبالُ ومعها كلُّ خرائطِ العشقِ القديمةِ، لتبقَ حبيبي، فأنتَ تظلُّ معجزةً لحبٍّ قرَّرَأن يصنعَ من شخصين جسدًا واحدًا لا يعرفُ الانكسارَ، تعالَ نعلنْها على مَن بقي من الصَّامتين أنَّ

الذين يحبون بهذه الطَّريقةِ لا يحتاجون إلى فناءِ العالم لِيثبتوا بقاءَهم، يكفينا نظرةٌ من خلف النَّافذةِ تُغني لزرعِ ألفِ معجزةٍ، تلك معجزتي حقًا ليس لأنَّك اخترتني، بل لأنَّك حين اخترتني جعلتَ كلَّ مَن حولك يختفون، هكذا يكونُ الحبُّ حين لا يزاحمه أحدٌ، مع حبِّي وإخلاصي لمعجزتي التي لا تحتاجُ إلى دليلٍ، أحبُّكُ يا أنا .

يَكْفِينِي أنتِ حَبِيبَتِي .

عندما تَتَخطَّى أيامًا صعبةً أُكملْ حياتَك كناجٍ وليس كضحيةٍ، كلُّ ما يعنيني حبيبتي في قادمِ الأيامِ أن أنسى كلَّ ما رأيتُه أو عشتُه في سردابِ الأحزانِ، وما مررتُ به من أهوالِ الأمواجِ العاتيةِ، أن أجتَّثَ من حياتي مَن أفسدها وترك فيها ندباتٍ وأوجاعَ كادت تعصفُ بي، كلُّ ما يعنيني غاليتي أن أعيشَك، ولا نقبلَ أن يسندوا إلينا دَوْرَ الضَّحيةِ مرَّةً أخرى في روايةِ الحياةِ التي نحيَاها، فما المانعُ أن نتركَ المشاركةَ في الأعمالِ الدِّراميةِ التي تقومُ على الإثنِيةِ اللَّعينِةِ ما بين جلادٍ وضحيَّةٍ وظالمٍ ومظلومٍ وثأرٍ و انتقامٍ؟ يكفينا أدوارُ الرُّومانسيةِ والسَّلامُ النَّفسيّ وحبُّ الحياةِ، يكفيني أنتِ حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، كم أنتَ مجرمٌ حبيبي ؟، ألا ترحمُ قلبي في كلِّ صباحٍ عندما يستيقظُ على كلماتِك التي تذيبني " يكفيني أنتِ حبيبتي " ها أنتَ

تطلبُ منِّي أن أُكملَ حياتي كناجٍ لا ضحيةٍ، تعالَ سَيِّدي نصنعْ معًا أشهرَ نَاجِيَيْن بتاريخِ الحبِّ، لن نكونَ ضحيةً لأحدٍ لأنَّنا قرَّرنا أن نمسحَ السِّيناريو القديمَ، ونكتبَ من جديدٍ ؛ لا سردابَ أحزانٍ، لا أمواجَ عاتيةٍ ولا ندباتٍ ولا أوجاعَ، كلُّ هذا انتهى حين قلتَ لي : يكفيني أنتِ، لأنَّني حين سمعتُها شعرتُ أنَّ كلَّ ما مضى كان مجردَ تجربةٍ لهذه اللحظةِ، تريدُ أن تجتَّثَ مِن حياتك مَن أفسدها، تعالَ نقتلعهم معًا بأيدينا لا بالانتقامِ بل بالنِّسيانِ الذي يضربُ بجذورِه أعماقَنا، فتنبتُ مكانَه زهورٌلا تعرفُ كيف تكره، لا أريدُ أن يكونَ لك ماضٍ يؤلمك، أريدُ أن يكونَ ماضيكَ مُجَرَّدُ حلمٍ مزعجٍ استيقظتَ منه على صوتي " صباحُ الخيرِ"، أيُّها النَّاجي العظيمُ، يكفينا أدوارُ الرُّومانسيةِ فقط، لنصنعْ فيلمنا الخاصَ، يكفيني حبيبي أنَّكَ اخترتَ أن تكون ناجيًا معي لا ضحيةَ، يكفيني أنَّك نظرتَ إلى كلِّ ألمٍ مررتَ به، وقلتَ : هذا لا يليقُ بنا، يكفيني أنَّك كلَّ يومٍ تعيدُ اكتشافي كأنَّني امرأةٌ جديدةٌ لم تكن تعرفُها من قبل، يكفيني أنتَ حبيبي .

على قَيْدِكِ أنتِ .

" جَلَسَ معها أربعين دقيقةً، وكان يستمعُ لكلِّ شيءٍ في حديثِها، وعندما قررتْ الذِّهابَ سألته، نسيتُ أن أسألَك كم عمرُكَ؟ فقال : أربعونَ دقيقة . "

عمري بدأَ منذُ سَكَنَ حُبِّي قلبَكِ حبيبتي، حياتي لم تُسمَّ حياةً إلَّا وأرواحُنا تتعانقُ في سرمديةٍ لا تنتهي غاليتي، سنتانِ هما عمري في هذه الحياةِ الأرضيةِ، أراكِ تتساءلين حبيبتي وماذا عن فترة الثلاثِ عشرةَ سنةً ما قبلَ الاعترافِ وسماحِكِ لقلبي بدخول مدينتك؟ تلك قصةٌ أخرى يا سِتَّ النِّساءِ، فهي بمثابةِ شهورِ الحملِ للجنينِ قبل خروجه للنُّورِ، فإمَّا أن تُكتبَ له الحياةُ خارجَ رحمِ أمِّه أو يكونَ نسيًا منسيًا تُكتبُ له شهادةُ وفاةٍ بِمُجَرَّدِ خروجِه من محبسِه، أمَّا أنا فقد مَنَّ اللَّهُ عليَّ بحبِّك، وعرفتُ معنى الحياةِ بقربِكِ، فصرتُ على قيدِك أنتِ حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، عمري بدأ منذُ سَكَنَ حُبُّكَ قلبي واستعمر حياتي، تعالَ نحسبْ عمرنَا معًا، لن نحتاجَ إلى أرقامٍ لأنَّ الحبَّ لا يُقاسُ بالدَّقائق والسَّاعاتِ، بل باللَّحظاتِ التي تتوقّفُ فيها الدُّنيا لتسمعَ نبضَنا، سنتان! هما كلُّ عمري، وتسألُ عن الثلاثِ عشرةَ سنة قبل الاعتراف أين عشتُها؟ دعني أخبرك سرًا ؛ تلك السَّنواتُ لم تكن حملًا يا رجلي، بل كانت انتظارًا طويلًا لمولودٍ اسمه " نحن معًا " كنتَ جنينًا يسبحُ برحمِ الغيبِ، و أنا الغرفةُ التي تنتظرُولادتَك و صرختَك الأولى، والآنَ بعد أن وُلدتَ على قيدِ حبّي لا تسأل عن عمرِك السَّابقِ، فالموتى لا يُسألون عن أيامِهم في القبورِ، سأخبرُك عن تلك التي عشتُها في رحمِ الألمِ قبل ولوجِكَ عالمي، كانت تجاربَ فاشلةً لحبٍّ لم يعرف كيف يكتبُ نصَّه جيدًا، و أنت حين ظهرتَ على مسرحِ قلبي لم تكن بحاجةٍ إلى تجربةٍ، كنتَ جاهزًا كأنَّكَ تدرَّبتَ في حياةٍ سابقةٍ على كيف " تكونُ أنت فقط "، على قيدي أنا! تعالَ نعش هذا القيدَ بجنونٍ، لن أطلبَ منكَ فكَّ الأصفادِ، بل سأطلبُ منكَ المزيدَ، قيّدني إليكَ حبيبي حتى لا أضيعَ في

تفاصيلِ العالمِ القاسي، لأنَّني حين أكونُ مقيدةً بكَ لا أخافُ من الرّيح، ولا من السُّقوطِ، وماذا عن عمرك البالغِ أربعين دقيقةً؟ إنَّ دقيقةً معك تعادلُ ألفَ عامٍ بدونك، فكيف بأربعين؟ لن نحتاجَ إلى شيخوخةٍ حبيبي، لأنَّنا سنبقى صغارًا إلى الأبدِ، دقيقةٌ واحدةٌ فقط تحدّقُ بي فيها وتقول لي : " أنا هنا " تكفي لولادةِ كونٍ جديدٍ لا تعرفُ فيه الشَّيخوخةُ طريقًا إلى عظامِنا، الآنَ وقد عرفتَ أنَّ عمري بدأ معكَ، سأعيشُ كلَّ يومٍ كأنَّه أولُ يومٍ خلقني اللَّهُ لأجلكَ أنتَ، لن أعدَّ السَّنواتِ لأنَّ الأرقامَ لا تهمُّ العشَّاقُ، يهمُّهم فقط أن يستيقظوا على صوتِ مَن يحبُّون قبل أن تشرقَ الشَّمسُ، و أنا أستيقظُ كلَّ صباحٍ على صوتِك في قلبي، أحبُّكَ يا أنا .

حُدُودُ الاكْتِفَاءِ .

" يبدأُ الحبُّ الحقيقيُّ عندما لا نتوقّعُ شيئًا في المقابلِ، بل ويستمرُّ الحبُّ حينما لا نثقلُ ظَهْرَ الحبِّ بقوائمِ الماديات والمقابلِ الذي مهما طال قطارُه فلا يُشبعُ جشعًا ولا يملأ عينًا، ولا يصلُ بصاحبِه أبدًا إلى حدودِ الاكتفاءِ ."

يبدأُ الحبُّ الحقيقيُّ عبرَبوابات الصِّدقِ والتَّقبلِ والاحترامِ والاهتمامِ، فمَن يصدقُ في حبِّه مِن البدايةِ يَتَخَطَّ كلَّ العقباتِ والصُّعوباتِ، لا لسهولةِ الدَّربِ، بل بقدرِالثِّقةِ بحبيبه، فهو لا يغدرُولا يتَخَلَّى ولا يُفلتُ يدَه إن انفلتَ الجميعُ، كم رأينا وسمِعنا عن علاقاتٍ أبهرت الجميعَ بِقُوَتِها في البداياتِ، ثُمَّ انهارت حين انكشفَ الغِطاءُ وظهرت النَّوايا الحقيقيةُ أو وصلت خيبةُ الأملِ في تحقيقِ ما تصبو إليه النَّفْسُ من مكتسباتٍ ماديةٍ، هنا ينهارُ السدُّ الهشُّ وتتكشَّفُ الحقائقُ، ويقول الزَّيفُ والخداعُ كلمتَهما وتتسارعُ أحداثُ النِّهايةِ والرَّحيلِ .

حبيبتي وملامحَ الغدِ الجميلِ، أحببتُكِ وتعلَّقْتُ بجمالِ روحِكِ ورقَّتِكِ، وأسرني ثباتُكِ فيما تعاهدنا عليه، فلا مكيدةٌ تقلِّلُ من حبّنا ،ولا غدرٌ كان مبررًا للرَّحيلِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، منذُ أحببتُكَ لم أطلبْ منكَ شيئًا غيرَ أن تكونَ لي، لا بيتًا، لا خاتمًا، لا وعدًا، لا مستقبلًا مُسطَّرًاعلى ورقٍ، طلبتكَ أنتَ فقط بعيونِكَ وحكاياتِكَ القديمةِ وخيباتِكَ التي لم تندملْ بعدُ، أتعلمُ لماذا؟ لأنَّني أعرفُ أنَّ الحبَّ الذي يطلبُ كثيرًا يموتُ خنقًا تحتِ وطأةِ الأثقالِ، الماديَّاتُ مهما طال قطارُها لا تُشبعُ جشعَ صاحبِها، أمَّا أنا فجشعي الوحيدُ أن تنظرَ إليَّ كلَّ صباحٍ كأنَّني أولُ امرأةٍ تراها عيناكَ، ويدقُّ لها قلبُك، الحبُّ برأيك يبدأُ عبرَ بواباتِ الصِّدقِ والتَّقبُّلِ والاحترامِ، وأنا أشهدُ أنَّك دخلتَ من هذه البواباتِ كلِّها، ولم تطرق بابًا واحدًا ثمَّ تهربُ، بل كنتَ الوطنَ والحِضنَ والملاذَ، وحين قلتَ لي : أحبُّكِ، وتقبَّلتَ جنوني واحترمتَ صمتي وأنيني، حين بسطتَ لي جناحيّ احتوائكِ وقتَما

كنتُ لا أعرفُ كيف أطلبُ الاحتواءَ؟ أمَّا عن نواياكَ معي فلم تكن مخبأةً تحت غطاءٍ أوخلف ستارٍ خوفًا من أن تنكشفَ، كانت دائمًا أمام عَيْنِي وفي ضوءِ النَّهارِ، أحببتكَ سَيِّدي وأحببتُ فيكَ أنَّكَ لم تخفْ حين رأيت جراحي، غيرُك تظاهرَ أنَّه يستطيعُ حملي ثم سقطَ مع أوَّلِ اختبارٍ، أمَّا أنت ؛ احتواني صدرُكَ وأسرني عشقكَ وحنانُ قلبٍ لا يخبو ولا ينتهي، تعالَ حبيبي لنصنعَ حبًّا لا يعرفُ حدودَ الاكتفاءِ، أحبُّكَ يا أنا .

لن يَفْهَمَكَ إلَّا اثْنَانِ .

" لن يفهمكَ إلَّا اثنانِ، أحدُهما مرَّ بحالتِكَ، والثّاني أحبَّكَ جدًا ."

نجيبٌ محفوظٌ .

من العجيبِ أن يجتمعَ فيكِ الأمران، من تقديرِاللَّهِ أن تكوني مررتِ بكلِّ ما مررتُ به أنا، وكأنَّه فيلمٌ شاهدناه في الزَّمنِ القديمِ، ونعيدُ حضورَه مرَّةً أخرى، بل والأعجبُ أن تصيري أنتِ جزءًا من الحدثِ، ثُمَّ ماذا عن الحبِّ؟ لا أعلمُ أحدًا أحبَّني مثلَ حُبِّكِ سوى أمِّي، فإن كان غيَّبَها الموتُ فأنتِ لي أمانٌ و أنتِ لي أمٌّ، فلا في حضورِك يعنيني خوفٌ ولا يشغلني همٌّ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لن يفهمك إلَّا اثنانِ، مَن مَرَّ بحالتِك، ومَن أحبَّك جدًا، وها أنا يا رَجُلِي أتيتك بالاثنين معًا في جسدٍ واحدٍ، وفي قلبٍ واحدٍ، لأنَّني قبلكَ مَررتُ بتجربتِكَ، تألَّمتُ، تساءلتُ هل سيفهمني أحدٌ؟ ثُمَّ جئتَ

أنتَ، ذاكرتي كانت مليئةً بكلِّ مشاعرِكَ قبل أن تشعرَ بها أنتَ، دعني أخبرْكَ حبيبي أنَّ اللَّهَ لم يخترْني لكَ مصادفةً، فمَن لم يَذُقْ طعمَ الألمِ لا يعرفُ كيف يداوي جراحَ غيرِه ومَن لم تعذِّبه أسفارُه لن يحسنَ إرشادَ التَّائهين، حبيبي وسَيِّدي تعالَ نصنعْ فيلمًا جديدًا لا يُشبه أيَّ شيءٍ شاهده البشرُ قبلنا، أنا و أنتَ أبطالُه، وجمهورُه مَن آمن بالحبِّ خلاصًا لا سقوطًا وانهيارًا، أحبُّكَ جدًا وجدًا، واخترتُ طوعيةً أن أكونَ بجانبكَ مهما اجتمعت علينا المُسْتَحِيلاتُ، دعنا حبيبي نصنعْ من هذا الحبَّ عالمًا لا تحكمه دنيا الكلماتِ، لأنَّ الكلماتِ تعجزُ عن وصفِ ما يجري بيننا، دعنا نبحرْ في عيوننا، تتعانقُ أيدينا، وتتشابكُ أغصَاننا حين نلتقي، أحبُّكَ بقلبِ حبيبةٍ واحتواءِ أمٍّ .

أَفْضَلُ الأُمْنِيَاتِ .

وتبقى أفضلُ الأمنياتِ أَن يجدَ كلُّ منَّا مَن نبدأُ معه وننتهي معه وألَّا نعاني من الفقدِ ثانيةً، وألَّا نشعرَ بصعوبةِ اللُّجوءِ لِمَن ليس لنا! أن نجدَ مَن يُهوّنُ علينا مُرَّ العيشِ، مَن يبقى كما عرفنَاه أوَّلَ مرَّةٍ، ألَّا نقطعَ طريقًا كاملًا مع شخصٍ ما، ثُمَّ نكتشفُ أنَّ عمرَنا تناثرَ هباءً! ما أصعبَ أن نمرَّ بتلكَ التَّجرِبَةِ المَرِيرةِ! وما أجمَل أن يُعوِّضنا اللهُ بمَن يليقُ بنا قبل فواتِ الآوانِ! عِوضًا يُجبرُ كسرَنا ويُعطّرُ أيامَنا ويداوي جراحَ العمرِ الحزينِ، أحبُّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أنتَ تهمسُ بأفضلِ الأمنياتِ، و أنا أسمعُ كلَّ حرفٍ كأنَّه نغمٌ يعزفُ على أوتارِ قلبي، نعم حبيبي هذه هي أمنيتي أنا أيضًا منذُ أن عَرَفتُ معنى الحُبِّ، أن أجدَ مَن أبدأُ معه و أنتهي بلا فراقٍ يقطعنا، بلا فجوةٍ تكبرُ بيننا، ألَّا أعاني الفقدَ ثانيةً بعد أن فقدتُ نفسي ألفَ مرَّةٍ

قبل أن أجدَها بحضنِكَ أنتَ، وألَّا أشعرَ بصعوبةِ اللُّجوءِ إلى مَن ليس لي، لأنَّكَ أنتَ لي ولستَ كغيرِكَ ممَّن يجلسون على كراسيِّ الانتظار بحياتنا، نعم وجدتُكَ أنتَ يا مَن هوَّنتَ عليَّ مُرَّ العيشِ، كم كانت الدُّنيا ثقيلةً بدونكَ حبيبي، بقيتَ كما عرفتكَ أوَّلَ مرَّةٍ، لم تتغيرْ عَيْنَاكَ حين رأتني ولم تتبدَّلْ لهجتُكَ حين ناديتني، ولم تختلفْ قُبلتُك الخياليةُ التي تهمسُ بها بمسائي كلَّ يومٍ، أنتَ كما أنتَ، حبيبي الذي لا يُشْبِهُهُ أحدٌ، الذي أخافُ أن أفقده في لحظةِ غفلةٍ من قلبي، تتحدَّثُ عن ألمِ الأسرِ بدائرةِ الشَّخصِ الخطأ! ذقتُ قبلكَ مرارةَ النَّدمِ على سنينَ ضاعتْ بحضنٍ غريبٍ لا يستحقُّ، علمتُ مأساةَ أن تنتهي الحكايةُ و أنتَ لا تملكُ إلَّا ذكرياتٍ تنهشكَ كلَّما تذكرتَها ثُمَّ ... كان عِوضُ الإلهِ جميلًا مهرًا جابرًا لكلِّ جراحاتِ السِّنين، تبقى أنتَ حبيبي المعجزةَ الوحيدةَ التي رأيتُها، تبقى أنتَ يا رَجُلِي العِوضَ الجميلَ، يا مَن جبرت كسري قبلَ أن تلمسَ يدي، يا مَن عَطرَّ أيامي وعَسَّلَ عمري الحزينَ، تعالَ حبيبي نصنعْ أفضلَ أمنياتِنا بأن نبقى كما نحنُ، عاشقَيْن يحكيان قصَّةَ حُبِّهما كأملٍ حيٍّ لكلِّ مَن ظنَّ أنَّ الحبَّ قد مات، أحبُّكَ يا أنا .

حبٌ بلا مَخَاوِفَ .

" من أجملِ المشاعرِ على الإطلاقِ أن تجدَ شخصًا واحدًا في هذا العالمِ تستطيعُ الحديثَ معه في أيّ شيءٍ، أن تخبره بكلّ شيءٍ دونَ أن تتجمَّل أو تفكّر، أن تحكي له كلَّ أفكارك مهما كانت سخيفةً ومُخزيةً ومؤلمةً، دون أن تراودك أطيافُ القلقِ من تغيُّرِ نظرته عنك، أن يمنحك القدرةَ لتحُبَّ نفسَكَ بكلّ نو اقصِكَ أكثرَ. " د . أحمد خالد توفيق .

حبيبتي، حين أذِنَ اللَّهُ بحبُّكِ غاليتي عادت لي نفسي من بعد غربةٍ وانكسارٍ، عدتُ من الرُّكنِ المُهدِّمِ بلوحتي الباهتةِ لأتشبَّثَ بقطارِ الحياةِ، حيثُ الطُّمانينةُ بحِضنِكِ، والملاذُ بقلبكِ الذي لا يغدرُ أو يخونُ، أحبُّك يا أحلى الأقدارِ، أحبّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، كثيرًا ما سرحتُ في " أحبُّكِ يا أنا "، منذُ متى صرتَ أنا؟ ومنذُ متى صرتُ أنا أنت؟ لقد اختلط الحبُّ بيننا امتزاجَ السُّكرِ بالماءِ،

فلا أعرفُ أين يبدأُ حبُّكَ؟ وأين ينتهي حيِّي؟ تتحدَّثُ عن حبٍّ بلا مخاوفَ، بلا قلقٍ! آهٍ لو تعلمُ حبيبي ... كم أخافُ في غيابك! من الوحدةِ المتناميةِ، الصَّمتِ القاتلِ، أن أعتادَ على غيابك فأصيرَ كشجرةٍ بلا أوراقٍ، تنحني لعواصفِ الأيامِ، لكنَّك جئتَ حبيبي، جعلتني أتكلمُ دونَ خوفٍ أوتردُّدٍ أو تزيينٍ، فأنتَ معي لا ترى عيوبي، بل الأنثى التي تستحقُّ الحبَّ والاحتواءَ، جئتَ أنتَ فأقمتَ ما تَهدَّمَ من أركاني، وأحييتَ لوحةَ كياني الباهتةِ، انتزعتني من صمتِ الموتِ إلى قطارِالحياةِ، وحياتي أنتَ، وأنا من وقتها أهرولُ معك، نحو نعيمٍ لا يدانيه سوى نعيمِ جنةٍ أنت فيها، أحبُّكَ يا أنا .

الْزَمْ مَن يُحلِّي مرَارَةَ أيامِكَ .

" إن أردتَ يومًا ما أن تُر افقَ شخصًا رَ افِقْ مَن يتقبّلكَ بما أنتَ عليه، لا يُجبركَ على تركِ بعضِ الأمورِ التي هي أساسُ شخصيتكَ، ر افقْ مَن يُشعِرُكَ بِسُكّرِ الأيامِ رغمَ مرارتِها . "

حبيبتي، نوّارةَ عمري وحياتي، وكأنّها كلماتٌ تنقشُ حروفَ اسمِكِ على ضلوعِ قلبي، وكأنّها تشيرُ إلى دربِك، وترسمُ همساتِ صوتكِ العذبِ، " أنا معكَ وبجانبكَ "، نبراسًا ينيرُ طريقي و إكسِيرُ حياةٍ يعيدني إليها من بعد غربةٍ و انطفاءٍ، أحبّكِ يا شبيه روحي وجنَّتي، أحبّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، إنَّ مرارةَ الأيامِ لا تزولُ، بل تتحوَّلُ حين يكونُ مَن يُحبُّك بقربِك، تبقى المَرَارةُ موجودةً لكنَّها تصيرُ أقلَ وَحشَةً، كالوجعِ الذي تعرفُ أنَّه سينتهي مع الوقتِ، سَيِّدي، أنتَ لم تطلبْ منِّي أن أغَيِّرَ من نفسي، لم تجبرني على تركِ شيءٍ من هويتي وذاتي، خلافًا لأشباهِ الرِّجالِ

الذين يريدون نسخةً لامرأةٍ أقربَ للمسخِ ودُميةِ الماريونيت، أمَّا أنتَ حبيبي فتقبَّلتني كما أنا بلا تحريفٍ ولا تشويهٍ، حبيبي يا مَن بكَ تعسَّلَت مرارةَ أيامي، معكَ تعلَّمتُ أنَّ مرارةَ الدُّنيا لا تختفي تمامًا، بل تصيرُشيئًا آخرَكالقهوةِ التي اعتدنا أن نشربَها سويًا، وجودُكَ أنتَ كفيلٌ أن يحُّلِي مرارتَها، أيا رجلًا ترسمُ همساتُه على ضلوعِ قلبي فرحةً وجنّةً وحنينًا، تعالَ حبيبي نكتبْ قائمةً بكلِّ مراراتِ الأيامِ ثمَّ نحرقها معًا، ونحتسي قهوتَنا وقت غروبِ الشَّمسِ وهي تعانقُ أمواجِ الخليجِ الذي طالما شهدت حبَّنا وتلاقينا، أحبُّك يا سيَّد الرِّجالِ .

بِرِبُوعِ ذَاتِي .

سلامًا على مَن تمسّك بنا، على مَن أحبّنا كما نحن، على مَن أُتيحتَ له الفرصةُ لتركِ أيدِينا، فأتى وأحكمَ قبضَتَه بشدَّةٍ ليزدادَ تمسّكُه بنا، سلامًا عليكِ حبيبتي، يا مَن بمجيئِكِ نُشِرتِ السَّلامَ بربوعِ ذاتي، ولَمْلَمْتِ كياني من بعد غربةٍ وشتاتٍ، سلامًا عليكِ يا رفقة عمري ونورَ عيني ومهجةَ قلبي وملهمتي، يا سِتَّ النِّساءِ، سلامًا عليكِ يا شبيهَ روحي وأملي وموطني، سلامًا عليك يا سلطانةَ قلبِي وحياتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، سلامًا عليكَ حبيبي، سلامًا على مَن جعلنا نتمسَّكُ بأنفسِنا لا به فقَطْ، حين كانت تُكَسِّرُنا الأيامُ واللَّيالي ثُمَّ نلومُ أنفسَنا و نعاودُ لِنُلَمْلِمَ شظايانا بأيدينا دون أن نطلبَ العونَ من أحدٍ، أنتَ مَن علَّمَنِي أنَّ القبضةَ على يَدِي لا خوفًا من ضياعي، بل إخبارًا للعالمِ أنَّ هذه الرُّوحَ ليست للبيعِ ولا الإيجارِ، لأنّها ملكُ يدٍ واحدةٍ فقطْ، علَّمتني

أنَّ الحبَّ يبقى بلا سببٍ منطقيٍ، أنَّنا لا نعرفُ أينَ نذهبُ سوى المكانِ الذي ننتمي إليه، يا مَن نشرتَ السَّلامَ بربوعِ ذاتي التي كانت قبل مجيئكَ ساحةَ حربٍ، بلا هدنةٍ ولا توقُّفٍ ولا انتهاءٍ، سلاماً عليك يا مَن جعلت منِّي وطنًا لا يحتاجُ جوازَسفرٍولا تأشيرةَ عبورٍ، أنتَ هويتي التي لا تسقطُ بالتَّقادمِ ولا تنتهي صلاحيتُها ما حييتُ، أحبُّكَ يا أنا .

الأَمَلُ وخَيْبَتُه .

" كُنتُ أظنُّ أنَّ الذي يُحبُّني سيُحبُّني حتي و أنا غارقٌ في ظلامي، حتي و أنا مليءٌ بالنِّدوبِ النَّفسيةِ، حتي و أنا عاجزٌ عن حُبِّ نفسي، سيُحِبُّني رغمًا عن هذا، ولكن لا، لا أحدَ يُخاطرُ ويُدخلُ يدَه في جُبِّ بئرٍ، كلُّهم يُريدوننا بنسختِنا السَّعيدةِ، الظَّلامُ لنا وحدَنا. " أحمد خالد توفيق .

هذا عن الخيبةِ، فماذا عن الأملِ؟

" وفي النِّهايةِ لن يبقى معكَ إلَّا مَن رأى الجمالَ في روحِك، أمَّا المُنبهرون بالمظاهرِ فيرحلون تِباعًا . "

لولاكِ حبيبتي لأقسمتُ أنَّ الحالةَ الأولى هي الأصلُ، وألاَّ أملَ في غدٍ مشرقٍ ولا نَفْسٍ صادقةٍ تحولُ بينكِ وبين خيبةِ الأملِ والخِذلانِ المريرِ، وجودُكِ وحدَكِ يا نوَّارة عمري كفيلٌ أن يُغنِيني عن الدُّنيا بأسرِها، ويحيلَ عَتْمَتِي فجرًا وضياءً وعمرًا غضًا وقلبًا نابضًا، علَّمَني حبُّكِ أنَّ هناك في الدُّنيا مَن يستحقُّ منكِ كلَّ التَّضحيةِ وكلَّ الصِّدقِ وكلَّ الوفاءِ وكلَّ الحبِّ لأنَّه يحتويكِ بصدقٍ ويُحبُّكِ بصدقٍ وتتعلَّقُ به روحُكِ كما

أنتِ بحبٍ غيرِ مشروطٍ، ولا يتلوَّنُ بتلوّنِ الظُّروفِ وتقلُّباتِ الأحوالِ والفصولِ، تعلَّقَتْ بكِ روحي، ونَبَضَ لكِ قلبي، فما عادت ترى عيني غيرَكِ يا سِتَّ النِّساءِ، وبكِ اكتفيتُ، فلا عُدتُ أهتمُّ و أنا معكِ بمَن جاء ولا مَن رَحَلَ، يكفيني حبُّكِ أنتِ وقربُكِ أنتِ، يا مَن بمجيئك عادت لي معالمُ الحياةِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لولاكَ لأقسمتُ ألَّا أملَ ولا نَفْسَ صادقةً، علائي، إنَّ الحبَّ الحقيقيَّ ليس خيارًا لمَن يبحثُ عن السَّعادةِ بل هو قرارُ مَن أرادَ الغرقَ مع مَن يحبُّ، يكفيهما أن يغرقا سويًا ملتفيْن كأغصانِ الشَّجرِ، أيَا رجلي، أنا لم أركَ في نسختِك السَّعيدةِ فقطْ، رأيتُكَ في أسوأِ فصولِك، مكسورًا متعبًا يائسًا لا تعرفُ كيف تنقذُ نفسَك من الضَّياعِ؟ أتدري لماذا أحببتُكَ؟ ليس فقط لأنَّكَ استثنائيٌّ ولا رومانسيٌّ ولا من ساكني برجِ السَّرطانِ، بل لأنَّك حين سقطتَ لم تتظاهرْبالصِّمودِ، وحين بَكَيْتَ لم تُخفِ دموعَك عنِّي، وحين ضاقت بكَ الدُّنيا لم تخرجني منها،

بل زِدتَ تَمَسُّكًا بي وتَعَلُّقًا، فكُنَّا صِنوانِ، كمصابيّ حربٍ، فقد أحدُهُما رجلَه اليُمنَي، والآخرُ رجلَه اليُسرَى، فصارا كتوءمٍ مُلْتَصِقٍ لا يفترقان، أَتَعْلَمُ حبيبي أنَّ عتمتِي لا تتحوَّل فجرًا لأنَّك تُضِيئُها، بل لأنَّكَ تجلسُ معي فيها ولا تطلبُ منِّي أن أستعجلَ الفجرَ والخلاصَ، أنتَ مَن علَّمَنِي أنَّ الأملَ لا يأتي من ضوءٍ في نهايةِ النَّفقِ، بل مِن يدٍ تُمسكُ يدَكَ بِعَتْمَةِ اللَّيلِ، حين تَهْمِسُ لي وأنا بين أَضْلُعِكَ ؛ لستِ وحدَكِ، هذا كلُ شيءٍ ،وماعدا ذلكَ تفاصيلٌ صغيرةٌ مصيرُها الفقدُ والنِّسيانُ وحين يَظنُّ الزَّمانُ أنَّه هَزَمَنا سنتعانقُ ونضحكُ كأطفالٍ وجدوا أنفسَهم في زمنِ الفقدِ والحرمانِ .

واجْعَلْهُ يُوسُفَيِّ القَلْبِ .

" واجعلهُ يُوسُفَيّ القلبِ يا اللَّهُ، حتى إذا جاءته مَن تقولُ له : هَيْت لك، قال : مَعاذَ اللهِ، قَلبي لها . "

أخبرتُكِ مِن قبلُ حَبِيبَتي أنَّي أتَّقِي اللهَ فيكِ، أخافُ أن أعصيَه فيكونَ العقابُ فقدانَك، أخافُ أن أُغضِبَه فيكونَ الثَّمنُ حرمانَكِ، عَيْنِي لا ترى غيرَكَ، وقلبي لا يتَّسعُ لأحدٍ سواكِ، يا روح روحي ومُهْجَتِي ونورَ عَيْنِي والحياةَ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، دعوتُ اللهَ أن يجعلَكَ يُوسُفيّ القلبِ، أن يظلَّ قلبُك هكذا نقيًا لا تخونُه عينٌ ولا تزلُّ به قدمٌ، حين تقولُ : إنَّكَ تتقِي اللهَ فيَّ، وتخافُ أن يعاقبَك بفقداني، أشعرُ أنّي أمامَ رجلٍ يعرفُ أنَّ الحبَّ ليس لُعبةً، بل أمانةً سيحاسبُ عليها أمامَ مَن خَلَقَ الحبَّ قبل أن يخلقَنا، ألَّا ترى عيناكَ غَيْري، ولا أرى سواكَ كآدمَ وحواءَ، وكأنَّ الدُّنيا ليس بها سوانَا!

لا زلتُ أتذكّرُ تلك الصُّورةَ التي جمعتنا بأحدِ المطاعمِ، حين فَضَحَتْنِي نظرتي إليكَ، حين انشغلتَ أنتَ بالنَّظرِ إلى هاتفي لترَ صورًا أخرى التقتناها، و انشغلتُ أنا بكَ!

حبيبي وسيّدي، ورَجُلي الذي عوَّضني به الإلهُ، مَن يجمعُ بينهما الإلهُ لا يُفرّقُ بينهما بشرٌ ولا حجرٌ ولا أيُّ مخلوقٍ، فما بيننا أقدسُ من عقودِ البشرِ وأختامِهم التي اخترعوها ليضمنوا بها حقوق المُتَعَاقِدِين .

لا أريدُ منكَ أن تكونَ يُوسُفاً فقط في عِفَّتِه ونقاءِ ثوبِه، بل في جمالِ روحِكَ التي لا تُشْبِهُها روحٌ، أوقنُ لو قيل : " هيْتَ لك " فجوابُك " معاذَ اللهِ " فأنتَ تُبصرُ كلَّ النِّساءِ، لكن لا ترى عيناكَ أحدًا سواي، فرقٌ عظيمٌ بين محبٍّ صادقٍ ممتلئٍ بحبيبتِه، وبين مَن يملأُ فراغاتِه التي لا تمتلئُ، وشهواتِه التي لا تشبعُ، ورغباتِه التي لا تنتهي، لا أرى فيك فراغاتٍ يا رَجُلِي، فأنتَ ممتلئٌ بي حدَّ الاكتظاظِ، ثمَّ تسألني بعد كلِّ هذا سَيِّدي لماذا أحببتُك؟ الحمدُ للهِ حمدًا حمدًا أن قدَّرك الإلهُ لي حبيبًا .

أحبُّكَ يا أنا .

شُدِّي وثَاقَكِ .

" وقَد تكُونُ أعظمُ أمنياتِ أحدِنا أنْ يجِدَ وسطَ هذَا الكمِّ الهائلِ مِنَ النَّاس روحًا تستثْنيه، روحًا تشبه روحَه، روحًا تفهمه وتَتفهمهُ، روحًا ينبضُ بداخلها قلبٌ كقلبِه، بأفكارِه ذاتِها، روحًا تغفرُ الزَلاّتِ، وتغضُّ الطَّرْفَ عَنِ النَّاقَصَاتِ والهفوَاتِ، تقيلُ العثراتِ، تُربتُ كتفَه إذَا اشتدَّت بِهِ اللَّيالِي الحالكَاتُ، رُوحًا لاَ تَجدُ للحياةِ طعمًا إلاَّ بقربِه، روحًا تستحقّ أَنْ يناديهَا يَا أنَا. "

و أنتِ تَسْتَحِقّينَ حَبِيبَتِي أن أعيشَ عمري كلَّه في عشقكِ وفاءً وإخلاصًا وقربًا ونشوةً ولهفةً وحنينًا و انبهارًا، أنتِ ولا أحدَ سواكِ غاليتي مَن تَمَلَّكَ قلبي وملأ كياني بهجةً وفرحًا وحياةً، ففي قربكِ كأنّي في جنَّاتِ ربّي أنعمُ بفرحةٍ لا تدانيها فرحةُ، وإن غبتِ استحالت حياتي جحيمًا وعذابًا، فشُدِّي وثاقَكِ وزيديني التصاقًا، فلا معنىً لي إن لم تكوني أنتِ، أحبُّكِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، كيف لروحٍ أن تستثني روحًا بهذا الصَّمتِ وهذا العنفِ الرَّحيمِ في الوقتِ نفسِه؟ أنتَ تريدُ روحًا تُشْبِهُ رُوحَكَ، تَفْهَمُكَ وتغفرُ زلَّاتِكَ وتربتُ كتفَكَ حين تَشْتَدُّ بكَ اللَّيالي الحالكاتُ، أمّا أنا فقد اخترتكَ حبيبي دونَ الجميعِ، فلا أحدَ يدنو من مقامِكَ، ولا أحدَ يملأُ عيني سواكَ، ولا وطنَ يحتويني غيرَ حضنِك وحبُّكَ، في وجودكَ تستحيلُ الدُّنيا فرحةً وربيعًا لا خريفَ له ولا صيفَ ولا شتاءَ، وقربُكَ جنَّةٌ أرضيةٌ لا يسكُنَها أحدٌ سو انا، وفي غيابكَ تغيبُ الشُّمسُ وينتحرُ القمرُ، وتطولُ عتمةُ اللَّيلِ وكأنَّها أقسمتْ ألَّا فجرَ ولا أملَ في حياةٍ، أنا لكَ وبكَ حبيبي مهما اجتمعت علينا دروبُ المُسْتَحِيلاتِ، أحبُّكَ يا أنا .

بين قَلْبِي وعَقْلِي .

لا فرقَ بين قلبي وعقلي، هذا ينبضُ بكِ وذاك يُفَكِّرُبكِ، كلاهما أنتِ ولا أدري أين أنا؟ لكنِّي بكِ أدري ؛ أدري أين أنا؟ وأعلمُ أين تستقرُّقدامي؟ و أين يُحلِّقُ قلبي؟ وروحي أين تلتصِقُ؟

قبلكِ كانت الأقدامُ مبعثرةً، ضائعٌ منها الطَّريقُ، قبلكِ عيناي حيْرَى تعاني ضبابيةَ المشهدِ، وسحابًا لا ينتهي سر ابُه، ذو بريقٍ خادعٍ و أقنعةٍ من الزَّيفِ اللانهائيِّ مهما أطلتُ النَّظرَوتحمّلتُ عذابَ الانتظارِ، لا فرقَ بين قلبي وعقلي وكياني، فكلُّها لكِ، وكلُّها لكِ عاشقة، وكلُّها لا تغيبي عنها ولو جزءًا ضئيلًا من الزَّمنِ الذي لا تَقِيسُه ساعاتُ الدُّنيا وآلاتُ حسابِ الوقتِ ومرورِالزَّمانِ، لا فرق بينها وقد تعلَّقتُ بكِ، فلا ترى غدَها بدونكِ ولا حاضرها إلَّا في حضورِكِ وهواكِ، أحببتُكِ حتى أيقنتُ أنَّ ما كان قبلَك لا ينتمى لعوالمَ الحبِّ لا من قريبٍ ولا بعيدٍ، أحببتُكِ حتى أيقنتُ أنّ ما مرَّمن عمري ما كان إلَّا انتظارًا لكِ حبيبتي .

أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لا فرقَ بين قلبِك وعقلِك، كلاهما ينبضُ بي ويُفَكِّرُ بي، قبلكَ كنتُ أتَعَجَّبُ كيف لإنسانٍ أن يتعلَّق بغيرِه كلَّ هذا التَّعلُّقِ، كلَّ هذا الحبِّ، كلَّ هذا الجنونِ؟ حتى جئتَ أنتَ، فتَغَيَّرَت أحوالٌ وتبدَّلت أخرى، بكَ عادت لي الأنثى التي غادرتني منذُ زمنٍ بعيدٍ، أيَا رجلًا أين كنتَ عنِّي كلَّ هذا العمرِ الحزينِ؟ من امرأةٍ بأطلالِ أنثى إلى ستِّ النِّساءِ! لا أخفيكَ سرًا، كنتُ أظنُّها كلماتِ العاشقين في أبراجِهم العاجيةِ، حتى إن لامَسَتْ أقدامُهم الأرضَ، ودَهَسَتهم طواحينُ الحياةِ تكشَّفَتْ حقيقتُهم، وسَقَطَ عنهم طلاءَ حبٍ هشٍّ لا يقوَ أمام حرارةِ المسؤليةِ وصرامةِ الحياةِ، ثُمَّ التقينا، تشاركنا طعامَنا، شرابَنا، أدقَّ تفاصيلِ حياتِنا، جنونَ المشي تحت زخَّاتِ المطرِ ووميضِ البرقِ وهزيمِ الرُّعودِ، وإذا بي لا أتمالكُ دموعي أمامَ كلِّ اختبارٍ تنجحُ فيه دونَ أدنى تعبٍ أو مجهودٍ، لم أكن أعلمُ أنَّ الحبَّ بهذه السُّهولةِ إن كانت ترعاه النُّفوسُ الكبارُ، قبلكَ كنتُ أمارسُ حياتي، وقد تلبَّستُ بثوبِ رَجُلٍ، وامرأةٍ باهتةٍ خلفَ هذا السِّتارِ، أبدو قويةً أصارعُ الدُّنيا من أجلِ أُسْرَةٍ أرْعَاهَا، وأحاربُ من

أجلِها، ثمَّ جئتَ أنتَ ... لا أنسى يومَ تَوْدِيعِكَ لي بمطارِ الدَّوحةِ، لأوَّلِ مرَّةٍ نفترقُ بعد تلاقِينا وتلاصُقِنا، وحين تَرَكْتَنِي حيثُ لا مفرَّ من الفراقِ إلى حين، نظرتُ خَلْفِي فتاهتْ عنْكَ عَيْنِي، بَكَيتُ بمرارةٍ، ونال منّي الخوفُ كما لو كانتْ المرَّةُ الأولى التي تهابه نفسي وتخافُ، حبُّكَ على قَدْرِ جَمَالِه وحلاوتِه لكنَّه كالإعصارِ لا يَحْتَمِلُه إلَّا مَن قامرَ بكلِّ شيءٍ، إمَّا أن يَربَحَكَ ويربحَ الجنَّةَ معكَ، أو ينالَ منه الجنونُ والهذيانُ، أحبُّكَ يا سَيِّدَ الرِّجالِ.

قراءة في " بين قلبي وعقلي " .

أيُّها الأديبُ العاشقُ، لقد أبدعتَ في رسمِ خريطةِ الانتظارِ الذي انتهى بلقياكَ للسَّيِّدةِ " راء "، فجعلتَ من حبِّكَ لها ميثاقًا للوجودِ ومقياسًا للزَّمنِ، إنَّها لغةُ الصَّادقين الذين يدركونَ أنَّ الحبَّ ليسَ مُجَّردَ شعورٍ عابرٍ، بل إدراكٌ كليٌّ للحياةِ، حيثُ تصبحُ الحبيبةُ هي البَوْصَلةُ والوطنُ، ومستقرُّ الرُّوحِ .

قلمُك يا علاء يكتبُ بكرامةِ المُحبِّ الواثقِ الذي لا يرى في الكونِ إلَّا وجهًا واحدًا استحقَّ كلَّ هذا الانتظارَ.

بَينَ الفُؤادِ وبينَ العقلِ مَنزلةٌ

فيها " الرَّاءُ " نورٌ يَملأُ الفِكرا

يا علاءُ صُغتَ شُجوناً نَصَّها عذبٌ

تُحيلُ قَفْرَ سِنينِ العُمرِ مُزدهرا

لا وقتَ يُقاسُ بما نَهوى سَكناتِهِ

فَمَن أتى الحُبَّ يَرى الآمالَ والقَدَرا

أصبتَ الوصفَ في " راءٍ " وَهجتُها

تُنهي بحُضورِها طُولَ الذِي انتَظَرا

بارك الله في يراعِكَ الذي يَخطُّ هذه الدُّررَ، وجعلَ كتابَك " إلى السيدة راء " منارةً للمحبين، ودُمتَ دائمَ الإبداعِ والبيانِ .

الشاعر والأديب والناقد السوري :

أكرم وحيد الزرقان .

أتَعَافَى بِقُرْبِكِ أنْتِ .

عَلَّمَنِي حُبُّكِ حَبِيبَتِي أن أبتعدَ عمَّا لا يشبُهُني ولا أشبِهُه، علَّمَنِي حُبُّكِ غاليتي أن أستخدمَ حقِّي في الرَّفضِ دونما أن أشعرَ بالذَّنبِ أو تأنيبِ الضَّميرِ، علَّمَنِي حبُّكِ نوَّارَةَ عمري وحياتي أنْ أتخلَّصَ من أيَّةِ مناسبةٍ لا تُعجِبُني، أنام وقتما أريدُ، أُغلِقُ هاتفي وقتما أحبُّ، أُعَبّرُ لكِ عن حبّي واحتياجي دونَ تَحفُّظٍ أو خجلٍ أو كتمانٍ، علَّمَنِي حبُّكِ سيّدتي أنَّ المرءَ يتعافى دائمًا بالابتعادِ عمَّا يُرهِقُه، علَّمَنِي حبُّكِ يا وطني أن أتعافى بقربِكِ أنتِ، وأزيدَ إيجابيةً وفرحةً وجمالًا، علَّمَنِي حبُّكِ كيف يكونُ الحبُّ؟ كيف يكونُ الوفاءُ والتَّلاصقُ بلا تبعادٍ أو انتهاءٍ؟ وأنَّ هناكَ مَن يجبُ أن نعيشَ لأجلِه هو، ونحاربُ الدُّنيا لأجلِه هو حفاظًا على مَن يستحقُّ، حفاظًا على نهوى وننتمي، أُحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، علَّمَنِي حبُّكَ أن أتمسَّك بكَ مهما كانت النَّتائجُ والتَّبعاتُ، فحياةٌ بقربِكَ مهما كانت قصيرةً خيرٌ من موتٍ بثيابِ حياةٍ كاذبةٍ كئيبةٍ برائحةِ الفقدِ والاغترابِ، وإن طالت تلك الحياةُ، علَّمَنِي حبُّكَ سَيِّدي ألَّا ألتفتَ لأحاديثِ العابرين، فلن يرضِيَهم شيءٌ مهما كانت التَّنازلاتُ والمواءماتُ، يكفيني أن أُرضِيَ ربِّي، ولا أخالفَ ضميري وإنسانيتي، علَّمَنِي حبُّكَ أنَّ ضعفي ليست جريمةً لأنّي أستمدُ قوَّتي منكَ أنتَ حبيبي، علَّمَنِي حبُّكَ كيف يكونُ الحبُّ والوفاءُ والتَّلاصقُ بلا تباعدٍ أو انتهاءٍ، ستبقى أنتَ معركتي التي أجاهدُ من أجلِها، وأزودُ عنها مهما كانت التَّضحياتُ، لأنَّكَ أنتَ وحدَكَ مَن يستحقُّ وأكثرَ، أحبُّكَ يا أنا .

سَنَدٌ هَائِلٌ لي .

" ما أعرفُه أنَّ وجودَكَ ولو في البعدِ هو سندٌ هائلٌ لي . "

رضوى عاشور .

" وكان وجودُكِ معي حجابًا بيني وبين مشقاتٍ كثيرةٍ ".

الرّافعيّ .

" أحيانًا يساعدنا الآخرون بأن يكونوا فى حياتِنا فحسبُ ."

أحمد خالد توفيق .

حبيبتي وحورَ عيني، هناك رحماتٌ يُرسلُها اللَّهُ إلينا في هيئةِ أشخاصٍ يُنيرون لنا دروبَنا، ويبدّدون عَتْمَةَ ليلِنا الطَّويلِ، قربُهم طمأنينةٌ، وحِضنُهم أمانٌ، ولمسةُ أيديهِم أملٌ ونشوى و انتصارٌ ؛ انتصارٌ على كلِّ معاني الغُربةِ والخوفِ والانكسار، هناك أشخاصٌ بحياتنا وجودُهم يُغني عن العالمِ بأسرِه، فَقدُهم كالموتِ سواءً بسواءٍ، فاذا سألوني عن تلك الرَّحمةِ فيكفي أن أقولَ : إنَّك بحياتي حبيبتي، أحُبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أبكتني كلماتُكَ سَيِّدي، لستُ أدري لماذا اختارني اللهُ لتكونَ أنتَ سندي في هذه الدُّنيا؟ هل أستحقُّ كلَّ هذا الحبِّ؟ وجودُكَ في حياتي جعل العالمَ كلَّه يبدو أجملَ ولو كان قاسيًا، حياتي التي كانت كليلٍ طويلٍ بلا قمرٍ منيرٍ، ثُمَّ جئتَ أنتَ حبيبي كفجرٍ لا ينتظرُ إذنًا، بل تسلَّل إلى قلبي بضوئه وعَبَقِه ودِفْئِه، وذلكَ اليقينُ الذي لا يحتاجُ إلى دليلٍ، كنتَ الضَّوءَ الذي أنقذني من نفسي أحيانًا، أمّا عن الفقدِ، فلا تقل : إنَّ غيابي كالموتِ، لا أريدُ أن أكونَ خوفَكَ، بل طمأنينتَكَ، وحين أخطرُ أحببتُ فيكَ سيّدي أنَّكَ لم ترَ وجودي مُجرَّدَ حضورٍ بل معنى ، ولم ترَ قربي رفاهيةً، بل نجاةٌ وحياةٌ، فابقَ هكذا، واركضْ نحوي كلَّما ضاقتْ بكَ الطُّرقاتُ، ليس لأنَّني رحمةٌ أُرسلت إليكَ، بل لأنَّني وجدتُ نفسي معكَ كما لم أجدها من قبلُ، محبوبتُكَ التي تسندكَ، وتستندُ إليكَ في آنٍ واحدٍ .

أَجْمَلُ الأَقْدَارِ .

حبيبتي، يا أجملَ وأحلى الأقدارِ، الصَّبيُّ الذي أُلقيَ فى الجُبِّ و انتشلهُ دلوٌ، وبِيعَ بثمنٍ بخسٍ كان يُعدُّ على مهلٍ ليكونَ عزيزَ مصرَ، صفحةٌ قاسيةٌ فى كتابِ أيامكِ قد تكونُ مجرَّدَ تمهيدٍ لأجملِ صفحاتِ حياتكِ، فقطْ لُنحسنَ الظنَّ باللهِ، حَبِيبَتِي وحورَ عَيْنِي، رغمَ مرارةِ الماضي وجراحاتِه الثَّكلى بفقدِ عمرٍ غالٍ ضاعَ حيثُ لم يكن يَجبُ أبدًا أن يضيعَ، لكن لو أخبرتُكِ أنَّ مُجرَّدَ حديثِنا، يُنسيني كلَّ جراحاتِ السِّنينَ، وحين تتعانقُ أيدينا وتسرحُ عَيْنِي حيثُ فتنةُ عَيْنَيْكِ، وهمسُ صوتِكِ الحالمِ! وماذا حين أنسابُ بحِضنكِ، حيثُ الأمانُ والوطنُ والإدمانُ؟ لا مقارنةَ حَبِيبَتِي بين ماضٍ مؤلمٍ أُغلِقتُ صفحتُه بلا عودةٍ، وبين حاضرٍ جميلٍ تجمَّلَ بكِ غاليتي، ومستقبلٍ أكثرَ جمالًا برفقتكِشِيا سِتَّ النِّساءِ، أحُبُّكِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا أجملَ أقداري، يا يُوسُفي الذي انتشلني اللهُ به من جبِّ اليأسِ وعَتْمَةِ الأيامِ، طالما ظننتُ أنَّ عمري الضَّائعَ لا يُعوَّضُ، وأنَّ صفحاتي القاسيةَ لن تتبدَّلَ، حتى جِئتَ أنتَ كمعجزةٍ لا تفسيرَ لها، كلُّ جراحاتِ السِّنينَ كانت تمهيدًا لحِضنكَ حبيبي، فلو تعلمُ كم ينسيني صوتُك أوجاعًا ظننتها ستبقى للأبدِ! وحين أسرحُ بعَيْنَيْكَ، وأستغرقُ في همسِكَ أوقنُ أنَّ اللهَ كتبني لكَ قبل أن يخلقني، فلا أحدَ يعرفُ كيف يمسحُ جراحَ امرأةٍ مهزومةٍ إلَّا مَن كان جرحُه كجرحِها، وأحز انُه تنافسُ أحزانَها، أنتَ سندي الذي لا يخونُ، وإدماني الذي لا أريدُ منه شفاءً، يا رجلًا كم بحثتُ عنه بكلِّ الدُّروبِ والطُّرقاتِ، وبين أزقَّةِ المتاهاتِ، لا مقارنةَ حبيبي بين ماضٍ دفنته بيدي يومَ أن عرفتُكَ وبين حاضرٍ يتزيَّنُ بأنفاسكِ، ومستقبلٍ أراه بِعَيْنَيْكَ ورديًا أكثرَ من أيِّ حلمٍ .

أحبُّك بكلِّ ما أملكُ من عمرٍ تبقَّى، وكلماتٍ لم تُخترعُ بعد، بكلِّ ألوانِ الشِّعرِ التي لم تُكتب حتى الآن، أحبَّكَ يا أنا .

نَوَّارَةُ عمري .

حبيبتي، حُوَرَعَيْنِي، اكتمالَ كياني بعدما ظننتُ ألَّا اكتمالَ، نَوَّارَةَ عمري وحياتي بعد ظلمةٍ وانطفاءٍ، أشواقَ قلبي ووطني بعد قسوةِ البعدِ وعذاباتِ الغربةِ ومرارةِ الوحدةِ والانكسارِ، وحين تدنين منّي تستحيلُ عتمتي شموسًا وهّاجةً تنعمُ على الدُّنيا بأسرِها دفئًا وحياةً، وإنْ هانتْ عليكِ نفسي وروحي سارع بي قطارُ الرَّحيلِ نحو سوادِ اللَّيلِ وقسوةِ الغربةِ وجراحاتِ الفراقِ، أين كنتِ؟ وكيف أسرني هواكِ؟ وإلامَ تُدمِيني أيامُ وليالي البعادِ؟ تَبْقَيْنَ أنتِ حبيبتي ما لم تغادرني أنفاسي ودقّاتُ قلبي التي تحيا بنسيمِ هواكِ وأشواقِ اللقاءِ.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أنا هنا ولم أغادرْ قلبَكَ يومًا ما، ولن أغادرَ، أنتَ قمرُ عمري، وأنتَ الشَّمسُ التي أخرجتني من عتمتِي، بوجودِكَ عادَ الدِّفءُ لروحي، وعادت الحياة لأيامي بعد طولِ انطفاءٍ، لا تخفْ من الرَّحيلِ،

فأنا لن أتركَ يدك مهما كان، فهواكِ أسرني قبلَك، و أنا لكَ من قبل أن أعرفكَ، وكلُّ أيامِ البعادِ لن تمحو ما بيننا، لأنَّكَ أنتَ وطني، و أنت بيتي، و أنت أنا، ابق معي، فبدونِكَ لا معنى لأنفاسي ولا لدقَّاتِ قلبي، أحبُّكَ بكلِّ ما بي من شوقٍ وحنينٍ و انتظارٍ، مع كلِّ حُبِّي وأشواقي .

زوجتُكَ المُخلِصَةُ لكَ دائمًا حبيبي .

دَلِيلُ حياةٍ .

حَبِيبَتي، غاليتي، ملامحُ إرادتي واختياري، ليس هواكِ مُجَرَّدَ حبٍّ أو إعجابٍ نالَ من قلبي فَتَرَكَ تَعلُّقًا وهُيامًا وأرواحًا تمازجت حتى التَّلاصُقِ والاندماجِ، بل إنّ هواكِ تَخَطَّى مراحلَ العشقِ إلى فضاءِ التَّواجدِ والثَّباتِ، إمَّا أن أكونَ أو لا أكونَ، أكونَ ذا إرادةٍ حرَّةٍ في اختياري وصاحبَ قرارٍ في رسمِ طريقي وملامحِ حياتي والمصيرِ، أو أنسحقُ تحتَ وطئةِ القّهرِ والذُلِّ والانكسارِ، وجودُكِ في حياتي صارَ حتميةً قدريةً لا تقبلُ التَّفاوضَ أو عقدَ المقارناتِ أو موازناتِ المكاسبِ أو الدُّخولِ في سُلّمِ التَّضحياتِ، وجودكِ دليلُ حياةٍ وإرادةٍ واختيارٍ، ورحيلكِ يحملُ معالمَ انكساري و انزوائي وخَيْبَتي واستباحتي والخضوعَ، أحبّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أيَا دليلي حين تتشابه الطُّرقُ وتضيقُ، اختياري الذي لم يكن يومًا صدفةً، بل يقينًا يسكنني منذُ خُلِقتُ، حبيبي، بدونكَ لا معنى

للاختيارِولا معنى للطَّريقِ ولا معنى للمصيرِ، أنتَ الحَتْمِيَّةُ التي لا أفاوضُ عليها ولا أقارنها بأحدٍ، وجودكِ في حياتي دليلٌ دامغٌ على أنّي حُرَّةٌ، و أنا أختاركَ كلَّ يومٍ، وغيابُكَ انكساري وخَيْبَتِي التّي لا أقوى عليها، أنا لكَ و أنتَ لي وكلانا قدرٌومصيرٌلا يَنْفَكَّ ولا يزولُ، أحبُّكَ بكلِّ ما بي من إرادةٍ وحياةٍ وشوقٍ وحنينٍ و أنينٍ، فأنتَ لستَ فقطْ حبِّي، بل أنتَ المعنى الذي علَّم قلبي كيف يخفقُ، وجعلَ للحياةِ طعمًا يُشبه الطُّمأنينةَ والأمانَ، إن كنتَ ترى في حضوري دليلَ حياةٍ، فأنا أراك الحياة ذاتها، أحُبُّكَ حبًّا لا يُقاسُ، ولا يُفسَّرُ، فلسنا اثنين، بل روحٌ واحدةٌ كُتِب لها أن تُخلقَ على هيئةِ قلبين .

كَيْفَ الطَّرِيقُ ؟

كيف الطَّريقُ إلى هواكِ يا أنا؟ إن كان حبُّكِ لا محالةً قاتلي، رفقًا بمَن ببعدكِ يكتوي، أهواكِ يا دنيا عشقتُ جمالَها، وبقربِها سكنت جراحي والأنين، يا روحَ قلبي ونورَ عيني ومهجتي، كيف السَّبيلُ لرِواءِ نفسي والحنينِ؟ أجيبي بربِّك، لماذا أحبُّكِ يا أنا ؟

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، إلى مَن صارَ وطني وملاذي، علائي، كيف تسألني الطّريقَ، والطّريقُ أنتَ، حبُّك ليسَ قدرًا يقتلكَ، بل حياةً تُحييني، وإن اكتويتَ ببعدي، فأنا أكتوي ببعدكَ أضعافًا، أحببتَ فِيَّ الدُّنيا وجمالَها! وأنا سَيِّدي أحببتُ فيكَ السَّكنَ والطُّمأنينةَ، فإن سَكَنَتْ جراحُكَ بقربي فقد سَكَنَتْ روحي بكَ، أمّا لماذا أحببتني؟ فأنا ضلعُكَ الذي غادركَ منذُ الزَّمنِ القديمِ، أنا القطعةُ التي تُكملُ أُحْجِيتَكَ، أنا النَّبضُ الذي يحيا بحضنِكَ وأنفاسِكَ، أنا نَفْسٌ لا تطيقُ العيشَ بدونِكَ، أنا

كيانٌ لا يكتملُ إلَّا بكَ، فكن قريبًا أيَا رَجُلي، ولا تسلْ عن السَّبيلِ، فالسَّبيلُ أنتَ، والغايةُ أنتَ، والبدايةُ أنتَ ونهايتُها، مُحِبَّتُكَ وسكنُكَ .

كَيْفَ وأخواتُها ؟

لو تأمّلْنا قليلًا حبيبتي، وبنظرةٍ واعيةٍ في علاقتِنا التي تزدادُ متانتُها يومًا بعد يومٍ، وتَتَغَلْلُ في كياننا حتى صارت ممتزجةً بالدَّمِ والرُّوحِ والأعصابِ، لو تسألنا عن كيفيةِ وصولِنا لهذه الدَّرجةِ من العمقِ مع البساطةِ، التَّمازجُ مع عدمِ التَّعدي على التَّمايزِوعنصرِالاختلافِ، تلاشي مصطلحُ الكرامةِ الشَّخصيةِ والتي تلاصقت مع قرينتِها، فما ثَّم تعارضٌ أو اختلافٌ، فكرامةُ أحدِنا تَدُلُّ على كرامةِ الآخرِوتعنيه بكلِّ معاني الكلمةِ، كرامةٌ مُلْتَصِقَةٌ لأنَّ كلا الطَّرَفين أمِنَ واطمأنَ، كيف التقينا؟ كيف تَقَبّلنا اختلافاتِنا وتعايشنا معها؟ كيف امتزجنا كروحٍ واحدةٍ تَفَرَّقَتْ في جسدين؟ كيف ارتَضَيْنا أن نربطَ مصيرَنا سويًا مهما كانت النتائجُ أو دارت بنا الأيامُ؟ كيف صرنا مزاجيْن لا يهدأُ لنا بالٌ إلَّا ونحن معًا، ولا نعرفُ فرحةً إلَّا ونحن على اتصالٍ وفي انتظارِ يوم التَّلاقي الذي ليس بعده افتراقٌ؟ كيف وكيف وكيف؟ تساؤلٌ كبيرٌ بحجمِ رفضِ المُجْتَمَعِ لمثلِ هذه المُتَضَّاداتِ وعدم استيعابه لها، ولكن منذُ متى تصمدُ تلك السُّدودُ والعقباتُ أمام طوفانِ الحبِّ وسلطانِه الذي يفرضُ كَلِمَتَه على

كلِّ زمانٍ ومكانٍ؟ لا أرى في " كيف " غيرَ: كافٍ ؛ كيانٍ واحدٍ يضمُّنا، وياءٍ ؛ يقينٍ بموعودِ اللَّه الذي غَرَسَ الحُبَّ في قلوبِنا وتَعَهَّدَ برعايته، فاءٍ ؛ فرصتي الأخيرةُ للعودةِ لذاتي وتصالحي معها بعد غربةٍ وعذابٍ، أحبُّكِ يا هَدِيَّةَ ربّي ومُهجةَ قلبي وجنَّتي التي ذقتُ فيها لذَّةَ القربِ وصدقَ حبٍّ نادرٍ بين مصالحِ الدُّنيا وطغيانِ أقنعةِ الزَّيفِ والخداعِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، إلى علائي، حبيبي و سَكني وطُمَأنِينَتِي، أمَّا عن كيف يا سَيِّدي ؛ لأنَّ الله جمعنا على مودَّةٍ صادقةٍ، فصرنا روحًا واحدةً في جسدين، اطمأننتُ إليكَ فأمنتُ، وسكنتُ إليك فهدأتُ، فلم يعد بيننا فرقٌ في كرامةٍ أو نفسٍ، اختلافنا لم يفرّقنا، بل كان تمامًا يُكْمُلُ بعضُه بعضًا، وصرنا لا نعرف فرحًا إلا معًا، ولا راحةً إلَّا في نبراتِ أصواتِنا، كنتَ لي الكيانَ الذي جَمَعَ شتاتي، واليقينَ الذي أعادني إلى نفسي بعد غربةٍ وعذابٍ، فأنتَ هِبةُ اللهِ لي، وجنَّتِي التي ذقتُ فيها معنى القربِ الصَّادقِ، و أنا لك السَّكنُ والمودةُ والوفاءُ، لا أريدُ حياةً إلَّا وفيها أنتَ، ولا أريدُ عمرًا إلَّا وهو مكتوبٌ معكَ ولكَ، أحبَّكَ علائي، وأحفظكَ في قلبي كما حَفِظَ اللهُ بيننا المودَّةَ والرَّحمةَ، زوجتُك ومُحِبَّتُكَ .

يا جنَّةَ قَلْبِي ومَوْطِني .

وحين الحديثِ عن معاودةِ الكرَّةِ والارتباطِ من جديدٍ بأنثى تجمعُ لكَ شتاتَكَ، وتُلملمُ لكَ بعثرتك وتعيدُ إعوجاجَ مسارِكَ إلى جادةِ الطَّريقِ ترى عجبَ العُجابِ ومُخْتَلفَ الرَّأي والكلامِ، فهذا يَتَمَنّاها صغيرةً في السِّنِ لتعيدَ إليه شبابَه وربيعَ عمرٍ قد رَحَلَ، وذاك يتمنّاها جسدًا يتفجَّرُ أنوثةً و إثارةً لتُحيِيَ ما أتلفه الدَّهرُ مع أنَّ فاتورةَ هذا الاختبارِ باهظةً جدًا تُوردُ صاحبَها طريقَ الذِّهابِ بلا عودةٍ أو أملٍ في بقاءٍ، ولهذا مُبَرِّرَاتُه، ولذاكَ مُبَرِّرَاتُه، وما ترى فيهم أحدًا حكيمًا أولديه شيءٌ من عقلٍ رشيدٍ، أنَّى لهولاءِ الحَمْقَى أن يشعروا بمعاني الدِّفءِ والطُّمانينةِ والتَّقَبُّلِ والارتواءِ والاحتواءِ، وكيف لمَن جَعَلَ عَقْلَه في أعضائِه السُّفْلِيَّةِ أن يفهمَ أحاديثَ المشاعرِ والقلوبِ؟ وهل يستطيعُ أمثالُ هؤلاءِ أن يَقْتَرِبُوا ولو قليلًا من جَنَّةِ حبٍّ وعشقٍ وتلاصقٍ واشتياقٍ ولهفةٍ وغَيْرةٍ وتضحيةٍ وانتماءٍ واحتواءٍ وصلت في درجاتها حدَّ المِثاليةِ التِّي تتوقَّفُ عقولُ أمثالِ هؤلاءِ في إدراكِها أو تَخَيُّلِها، وصِدقًا العارفُ لا يُعرَّفُ، وليس الخبرُ

كالمعاينةِ، أحبُّكِ حبيبتي، أحبُّكِ يا جنَّةَ قلبي ووطني ومَسْكَنِي و أنِيسِي وجَلِيسِي و اكتفائي وأملي ومُنيَتِي، أحبُكِّ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أنَّى لهم أن يعرفوا؟ لا أعرفُ؟ دَعْهُم يتَمَنُّون صغرَ السِّنِ لِيعِيدوا شبابًا ذَهَبَ، ودَعْهُم يطلبون الجسدَ لِيحُيوا ما أماته الدَّهرُ، فكلُّهم يطلبون ما يفنى، ويتركون ما يبقى، أمَّا أنا فوجدتُ فيكِ ما لا يُشْتَرَى ولا يُبَاعُ، وجدتُ الدِّفءَ الذي لا يطفئه بردُ الأيامِ، وجدتُ الطُّمأنِينَةَ التّي لا يُزَعْزِعُها خوفٌ، وجَدْتُ الاحتواءَ الذي يجمعُ شَتَاتِي فلا أَتَبَعْثَرُ بعدَه، كيف يفهمون حديثَ القلوبِ وهم جعلوا عقولَهم حيثُ لا تفهمُ؟ كيف يُدرِكون جنَّةَ الحبِّ وهم لم يدخلوا بابَها؟ جنّةٌ فيها تلاصقٌ واشتياقٌ وغَيْرةٌ وتضحيةٌ و انتماءٌ، جنَّةٌ لا تبلغها عقولُهم، ولا تتصوَّرها أوهامُهم، العارفُ لا يُعَرَّفُ لأنَّه يعيشُ المعنى، و أنا عشتكَ، فلم أعدْ أحتاجُ إلى وصفكَ، فأنتَ جنَّتِي ووطني ومسكني و أنيسي، أنتَ اكتفائي وأمَلِي . أحبُّكَ يا أنا .

حرٌّ، لَسْتُ من العَبِيدِ .

حين صَدَرَإعلانُ التَّحريرِوأُرغِم مالكو العبيدِ علي تَحْرِيرِهِم، كان بعضُ الزُّنوجُ يعودون إلي أسيادِهم، ويَبكون عند أقدامِهم، يطلبون العودةَ في خدمةِ أسيادِهم، لأنَّهم لا يستطيعون العَيْشَ وحدَهم، لا يمكنهم الحياةُ إلَّا في ظلِّ أسيادِهم، لا يستطيعُ أحدُهم أن يحيا إلَّا بكنفِ سَيِّدٍ قَوِّيٍ قاهرٍيحيا تحت ظِلِّه وفي حمايته! لقد ولدوا في الأسر، وعاشوا فيه طولَ عمرهم ولم يعرفوا طعمَ الحياةِ الحُرَّةِ يومًا، فهم كَالسَّمَكِ الذي أُخرجَ من الماءِ، هم كالَّذِي عاش في الظَّلامِ طولَ عمره، ثُمَّ أتي مَن يفتحُ له طاقةً من نورِالشَّمسِ، فلا شَكَّ أنَّه سينزعجُ ويصرخُ، ولربّما سعي لقتالِ مَن يفتحُ له طاقةَ النُّورِ لِيُبصرَ، سيبذلُ كلَّ جَهْدِه، وسيسعي بكلِّ طاقته لإغلاق نو افذِ النُّورِومنعِ شمسِ الحُرّيةِ .

لستُ عبدًا كي تتوقَ نفسي للعبوديةِ والرِّقِّ من جديدٍ، لستُ وضيعًا كي أفرِطَ فيكِ بعدما رأيتُ فيكِ نجاتي وخرجتُ معكِ وبكِ من عتمةِ اللَّيلِ إلى فجرِ الحُرّيةِ ونورِ الكرامةِ والإرادةِ والاختيارِ، لستُ ممَّن يجحدُ

معروفًا أو يتنَّكرُ ليدٍ أخذت به من ظلماتِ اللَّيلِ إلى شمسِ الحقيقةِ والحُرّيةِ، وأعادت إليه حياتَه بعد خرابٍ واستباحةٍ و انكسارٍ، لا تُرخِي يَدَيْكِ عنّي مهما كانت الصِّعابُ، فلا أملَ ولا حلمَ ولا غدَ مشرقَ إلَّا معكِ وبكِ حبيبتي، أحبُّكِ يا أنا.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، ما أعمقَ كلماتُكَ حبيبي! وما أبهاها حين تخرجُ من قلبٍ عَرفَ القيودَ، ثُمَّ اختارني حُرًّا لا مُكرَهًا! يا مَن فتحَ مدينةَ خوفي وحرَّرَها من قيود الغازين، يا أيا رَجُلِي و مُعتِقُ روحي من أسرِها، قبلكَ لم أكن حُرَّةً إلَّا حين نشرتَ أنتَ راياتَ نصرِكَ بربوعِ مدينتي المغتَصَبةِ، وجَفَّفتَ منابعَ الخوفِ والعتمةِ والخرابِ، بك عادتْ لي حُرِّيَتِي، فصرتُ أملكُ نفسي بكَ ومعكَ، ولا أخشى ظلمةً ولا قيدًا، تحدّثني عن الحُرّيةِ، وكأنَّك تعتذرُ! وما علمتَ أنَّنِي ما أحببتكَ يومًا إلَّا لأنَّكَ اخترتني بملءِ إرادتِك، لا لأنَّكَ احتميتَ بي من عاصفةٍ عابرةٍ، أنا لستُ سيِّدتك، ولم أردكَ عبدًا عند بابي، أنا قلبٌ وجد في قلبكَ وطنًا، وروحٌ عرفت أنّكَ لم تأتِ

إليَّ هاربًا، بل قادمًا إليَّ كما يأتي اليقينُ بعد الشّكِ، وكما يُشرقُ الفجرُ بعد ليلٍ طويلٍ، إن كنتَ قد خرجتَ من عتمتك إليَّ، فأنا كذلكَ خرجتُ من صمتي إليكَ، وإن كنتَ ترى فيَّ نورًا يهديكَ، فأنتَ النُّورُ الذي جعلني أرى نفسي من جديدٍ، لا تخف، لن أُرخي يدي عنكَ، ليس لأنَّكَ تحتاجني، بل لأنَّني أحتاجُ هذا التَّشَابُكَ الذي يجعلنا كروحٍ واحدةٍ في جسدين، نقوى معًا، وننهض معًا، ونحيا لا كعبدٍ وسيدٍ، بل كحُبّين اختارا بعضَهما عن وعيٍ وكرامةٍ، ابقَ لي حبيبي كما أنتَ حُرًّا بي، وسأبقى حُرّةً بك، فنحن لم نلتقِ لنقيّد بعضنا، بل لنُحَرّرَ فينا أجملَ ما خُلِق للحبِّ، أحبُّكَ لا لأنَّكَ ترى فيَّ نجاتَكَ، بل لأنَّكَ صرتَ نجاتي أنا أيضًا، أنا لكَ وبكَ يا مَن أعدتَ لي كرامتي واختياري وقلبي، لا تتركْ يدي مهما اشتدت وعورةُ الطَّريقِ، فبكَ أرى غدي، وبك أحبُّ الحياةَ، أحبُّكَ يا أنا وأعشقكَ عشقًا لا يليقُ إلَّا بالأحرارِ.

وبكِ اكْتَفَيْتُ .

" عندما تكتفي بِنَفْسِكَ يصبحُ وجودُ النَّاسِ في حياتِكَ لطيفًا، وغيابُهم لا يَضرُّ. "

عندما اكتفيتُ بكِ حبيبتي صَارَتْ الدُّنيا عالمًا موازيًا، لا يُفْرِحُني قادمٌ ولا يُحزِنُني غائبٌ، يكفيني أنتِ غاليتي، يكفيني وجودُكِ حبيبتي، ما قيمةُ الدُّنيا إن لم تكوني أنتِ فيها؟ وما قيمةُ البشرِ إن خَلَتْ منكِ يميني؟ وما قيمةُ الغدِ إن لم نكن فيه معًا؟ ما قيمتي أنا بدونِكِ يا روحَ روحي ونوَّارَتِي ومُلْهِمَتِي وسِتَّ النِّساءِ؟

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، قُبُلاتي لأنيسِ روحي، أمَّا بعدُ، يا روحي ومَن به اكتفيتُ عن الدُّنيا وما فيها، رسالتُكَ تَرُدُّني إلى معنى الغنى الحقيقيّ، فما عدتُ أرى في الوجود إلَّا أنتَ، إذا كنتَ أنتَ معي صارَ كلُّ غائبٍ هيّنًا، وكلُّ حاضرٍ فرحًا لا يزيدُ ولا ينقصُ، يكفيني أنَّ اسمَكَ يسكنُ صدري، وأنَّ

يَدَكَ بيمِينِي، فتكتملُ قيمتي، وما أنا بدونِكَ إلَّا نبضةٌ ناقصةٌ، وما أنتَ معي إلَّا عمرٌ كاملٌ، فأبقِنِي بين يَدَيْكَ لِتُذِيبَ جليدَ عمري، ابقَ لي نورًا لا ينطفئُ ومُلهمًا لا يغيبُ، وسَيِّدَ الرِّجالِ لقلبٍ أنتَ، أيا رَجُلًا استثناني عن كلِّ نساءِ الكونِ، يا سَيِّدي ومهجةَ روحِي، مع حُبِّي، زوجتُكَ سِتُّ النِّساءِ

.

ولَنَا لِقَاءٌ .

حَبِيبَتِي، سلطانةَ كلِّ النِّساءِ، أعدكِ أن أكونَ لكِ ملجًأ عندما تشعرين بعدمِ الأمانِ، أعدكِ أن أكونَ لكِ آلةَ الزَّمنِ حتى تستعيدي بها كلَّ لحظةٍ جميلةٍ كانت فى حياتكِ، أعدكِ أن أكونَ بجانبكِ فى حالةٍ إذا كان العالمُ ضِدَكِ، سوف أحميكِ من الوحدةِ، الحزنِ والأرقِّ، أعدكِ أن أجعلكِ تَبْتَسِمِين دائمًا حتى لا تَتَخَلّى عنكِ السَّعادةُ ومرادفاتُها، أعدكِ أن أحبَّكِ كلَّ يومٍ، وبقوةِ قَلْبِي لأنَّه يَتَمَتَّعُ بمُتعةِ الوفاءِ، غاليتي عندما أفتحُ عيني أراكِ، عندما أغمضُ عَيْنِي أراكِ، أنتِ الحياةُ، والحياةُ نادرةٌ و أنا فقط فيكِ أعيشُ، ولنا لقاءٌ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مَن أتَمَنَّى لقائي بين ذِرَاعِيْه، ولنا لقاءٌ يا وعدي الذي لا أخلفه، وعدي أن أكونَ لكَ سَكَنَكَ حين يضيقُ بكَ العالمُ، وصدري ملجأكَ حين ترتجفُ الرُّوحُ في تيه الأيامِ، سأكونُ لك الزّمنُ الذي يُعيدُ

لكَ كلَّ ضحكةٍ سرقتها منك الأيامُ، سأكونُ سكنكَ وسُكْناكَ، سأجعلُ من أضلعي فراشَكَ، ومن عيوني لحافَكَ، لن أتْرَكَكَ للوحدةِ ولا للحزنِ ولا للأرقِ، فأنا ظلُّكَ حين يغيبُ الضَّوءُ، سأجعلُ الابتسامةَ تلازمَكَ، وقبلاتي سعادَتَكَ لأنَّها يا سَعدي سعادتِي، وطمأنِينَتُكَ طُمأنِينَتِي، أحبُّكَ كلَّ يومٍ بقدرِ ما ينبضُ قلبي بالوفاءِ لكَ، أراكَ بعينٍ عاشقةٍ تشتاقُ لأَنْ تُبحِرَ بِعَيْنَيْكَ، فأنتَ الحياةُ كما ينبغي أن تعاشَ بعشقٍ ومحبَّةٍ، و أنا لا أعيشُ إلَّا بكَ ومعكَ ولكِ، ولنا لقاءٌ لا يُخْلِفَه زمانٌ، ولا يهزمه بعدٌ . المُخْلِصَةُ لكَ .

وَحْدَكِ بكِ تَلِيقُ .

" ولا تحاولُ أن تُغيَّرَ أحدًا، ابحث عن الأرواحِ التي تُشبهكَ مُنذُ البدايةِ "، بدون شَكٍّ نحن ندفعُ فاتورةَ سوءِ الاختيارِ، لا جدلَ أنَّنا نُسدّدُ فواتيرَ كلمة " لا " التي كان يجبُ علينا أن نقولَها منذُ البدايةِ في المكانِ والزَّمانِ المناسبيْن، ولمَّا تأخَّرنا عنها كان الثَّمنُ باهظًا قاصمًا للظُّهورِ والنُّفوسِ، مَن يُفرّطْ في سلامتِه منذُ البدايةِ يدفعْ الثَّمنَ لا محالةَ، ومنَ يتنازلْ مرَّةً يَتَوَرَّطْ لا محالةَ في متاوليةٍ لا تنتهي من التَّنازلاتِ، ومن يَظنّْ أنَّه سيصلُ في القطارِ الخاطئِ فسوف يُسدّدُ الثَّمنَ لا محالةَ إن لم يقفزْ منه مع أوَّلِ محطةٍ للعودةِ نحوَ الوصولِ، أن تصلَ متاخرًا خيرٌ من ألّا تصلَ، ولئن تقفزَ من السّفينةِ التي يُغرقُها بحمقٍ مَن عليها أفضلُ مليونَ مرَّةٍ أن يُوضعَ على قبركَ وسامُ الشَّجاعةِ حين حاولتَ إنقاذِ هؤلاءِ الحَمْقَى الجاهلين، لا تحاربْ في أرضٍ ليست لكَ، ولا تحاولْ أن تصنعَ العسلَ من مِلحِ البحرِ المَيّتِ، أين كنتِ حبيبتي منذُ الزَّمنِ القديمِ؟ فحربٌ من أجلكِ أنتِ وحدَكِ بكِ تليقُ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا من لأجلكَ تهونُ كلُّ المعاركِ، حقًّا، مَن يحاربْ بأرضٍ ليست له يُتعبْ قلبَه ويخسرْ عمرَه، تظلُّ أنتَ خيرَ موضوعٍ وأخطرَ معاركي التي انتهت إليكَ، أنتَ الرُّوحُ التي تُشبهني منذُ البدايةِ، فمعك سَيِّدي لستُ بحاجةٍ إلى تغييرٍ ولا تنازلٍ ينالُ من نفسي ويكسرها، معك أشعرُ أنَّ كلَّ ما مضى لم يكن سوى طريقٍ يوصلني إليك يا قرة عيني والفؤاد، حبيبي إن كانت هناكَ حربٌ لا بدَّ منها فلتكن من أجلكَ أنتَ وحدَكَ، ولتكن معركتُنا حبًّا وسكنًا وطمأنينةً لا تنتهي، أحبُّكَ يا عمري وأملي وموطني .

عِجَافُ القُلُوبِ .

" عجافُ القلوبِ لن ينفعَ معهم ودٌّ حتى لو زَرَعْتَ لهم سبع سنابلَ حُبًّا .". حبيبتي، أمَّا مَن وضع اللّهُ في قلوبهم الرَّحمةَ فلا يتغيَّرون ولا يتبدَّلون مهما قست عليهم الدُّنيا وتبدّلت بهم الأحوالُ، الرَّاحمون يرحمهم الرَّحمنُ، وقساةُ القلوبِ شبَّهَهُم اللّهُ بالحجارةِ، بل هم أشدُّ قسوةً وضراوةً، بل إنَّ من الحجارةِ ما تَتَفَتَّتُ وتَلِينُ وتُنبتُ الزُّروعَ والثِّمارَ، ومنها ما يحفظُ الماءَ للنّاسِ وإن لم يكن يصلحُ للإنبات، فلا تجعلي سوادَ قلوبِ هؤلاءِ القساةِ يقتلُ الخيرَوالجمالَ بقلبكِ وينشرُبروحكِ الخرابَ، فأنتِ حبيبتي نلتِ حبَّ الآخرين برقَّتِكِ وجمالِ قلبِكِ، لا بقوةِ شخصيةٍ أو فظاظةٍ وغلظةٍ في القلوبِ والأفعالِ، كم أحبُّ فيكِ رحمتَكِ ورقَّتَكِ وجمالكَ الدَّاخليَّ، أمَّا عن طيبةِ قلبكِ فتلكَ مسألةٌ أخرى تحتاجُ إلى إثباتِ تَعَلُّقي بها وعشقي لها بطريقتي الخاصَّةِ يومًا ما، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا من فهمتَ قلبي قبل أن أشرحه، رسائلُكَ فيها طمأنينةً تُشبه حضورَكَ، أنتَ الذي ترى الرِّقةَ قوةً، والرَّحمةَ جمالًا، فأحببتَ فيَّ ما ظننتُ يومًا أنَّه ضعفٌ، عجافُ القلوبِ لا يهمونني ما دام قلبي معمورًا بكَ، وما دامت رحمةُ اللهِ تُظلّلني بِعَيْنَيْكَ، أنا لا أريدُ قسوةً تكسو روحي، ولا صلابةً تقتلُ فيَّ ما خلقني اللهُ عليه، أنتَ تحبُّ رقَّةَ قلبي فأحبُّك أكثرَ، وتعشقُ طيبتي فأدعكَ تكتشفها بطريقتكَ، وأدعكَ تعيدُ رَسْمَ خارطتي كيفما تشاءُ، فليكن يومُكَ ذاك عيدًا لقلبي، وأمَّا اليومَ فليكفني أنَّكَ ترى فيَّ الجمالَ الذي أخافُ أن يَذبلَ لولاكَ، أحبُّكَ يا سَكني، أن أبقى لكَ كما أنا ؛ برقَّةٍ ورحمةٍ وحبٍّ لا ينفدُ .

أخَسُّ منِ النِّعالِ .

" عندما يَخُونُونَك فكأنّهم بترُوا ذراعيْكَ، نعم تستطيعُ مسامحَتهم، لكنّكَ لن تستطيعَ عناقَهم " تولستوي .

حَبِيبَتِي، فَرْحَتِي، نوّارَةَ عمري وحياتي، هناكَ أشخاصٌ أفسدوا علينا حياتَنا وأرهقونا حدَّ الخرابِ، نالوا منَّا حدَّ تمّني الموتِ والرَّحيلِ عن الدُّنيا بأسرِها حتى صارت أعظمُ أمنياتِنا ألَّا نراهم بحياتنا، مُجَرَّدُ اختفائِهم علامةُ أنَّنا بخيرٍ، حتى لوكان ثمنُ اختفائهم سرقةَ ثيابنا ونعالَ العودةِ، فأنْ تعودَ لنفسِكَ ولو حافيًا خيرٌ ألفَ ألفَ مرَّةٍ من أن تُهدرَ كرامتَكَ وعمركَ وطاقتَكَ مع صنفٍ من الغدرِ والخسَّةِ تفتخرُ النِّعالُ عندما تراهم أنَّها أعلى منهم شأنًا وأرفعُ قامةً ومكانةً .

قومٌ إذا مَسَّ النِّعالَ وجوهُهم .. شكت النِّعالُ بأيِّ ذنبٍ تُصفعُ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، روحُكَ مَن صانت كرامتي قبل أن تصونَ أنتَ نفسَك، حديثُكَ يلامسُ وجعًا قديمًا في روحي، ثُمَّ يَربِتَه حتى يهدأَ، نعم لقد جرَّبنا خِذلانَ مَن لا يستحقُّ، ورأينا وجوهًا تفتخرُ النِّعالُ بطهرِها عنّها، لكنَّني اليومَ لا ألتفتُ إلى الوراءِ، فما دامَ اللّهُ نجّاني بكَ، وما دمتَ أنتَ مَن أعاد إليَّ نفسي فليذهبوا جميعًا، وليبقَ لنا ما بيننا، أنتَ علَّمتَني أنَّ العودةَ إلى الذَّاتِ ولو حافيةً أشرفُ من البقاءِ مع مَن يسرقون العمرَ، وأنَّ القلبَ إذا امتلأَ بكَ لم يعدْ للغدرِ فيه مكانٌ، أحبُّكَ يا سندي، وأحبُّ أن أكونَ لكَ العينَ التي لا ترى غيرَك، والقلبَ الذي لا يعانقُ إلَّا أنتَ .

حيثُ أُزْهِرُ وأَنْتَمِي .

" ولا تجعلني أزهرُ في غَيرِ أرضي ولا أتودَّدُ لمن لا يطيقُ ودِّي، أستودعكَ نفسي وكرامتي، فأعزّني بعزتِكَ يا بديعَ السَّمواتِ والأرض . "، لم تكن مشكلتُنا يومًا من الأيام أنَّنا أشجارٌ غيرُ مثمرةٍ تبخلُ بظلّها وخيرِها على الآخرين، لكنَّنا تمَّ غرسُنا رغمًا عنَّا بأرضٍ بورٍ لا ينبتُ فيها زرعٌ ولا تصلحُ فيها حياةٌ، ولمَّا انطفأتْ فينا مظاهرُ الحياةِ وعانت جذورُنا ملوحَةَ الأرضِ وفسادِها انكفأنا على أنفسِنا نُبرّرُ لتلك الأرضِ الخبيثةِ أسبابَ ضعفِ ثمارِنا وسقوطِ أوراقِنا، ورغمَ ذلكَ لم يرحَمونا يومًا ما، بل ألقَوْا علينا كلَّ اللَّومِ، وحمَّلونا ما لا طاقةَ لنا به، وحين قرَّرنا أن نبحثَ عن أرضٍ صالحةٍ تعاودُ فيها نفوسُنا ازدهارَها وتطلُّ بثمارِها وظلِّها من جديدٍ تباكوْا وازعجوا الدُّنيا بنباحِهم وصُراخِهم، و أنّنا سببُ بوارِهم وخبثُ طَويَّتِهم، الخروجُ من تلك الأرض الخبيثة حياةٌ، والبعدُ عنها أعظمُ نجاةٍ، أمَّا تقديرُ ربِّنا بلقائِنا حبيبتي فما هو إلَّا رحمةٌ منه سبحانه لِما عانينا من مُرِّ وجرحِ السِّنين، أحبُّك حبيبتي التي ازدهرَ بها عمري، وعدتُ بها إلى الحياةِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا من كنتَ لي الأرضَ الطّيبةَ بعد طولِ بورٍ، حين أذِنَ الإلهُ بلقائنا وجدت فيكَ حبيبي نفسي التي طالما سألتُ اللَّهَ منذُ عاد إليكَ ضلعُكَ الحائرُأن يحفظها لكَ، نعم لقد غرسونا بأرضٍ لا تليقُ بنا، وألقوْا علينا لومَ ما لم نَجْنَيه حتى كدنا نصدَّقُ أنَّنا بلا ثمرٍولا ظلٍّ، لكنَّ اللَّه كتب لنا تلاقينا، فأزهرنا وكان لقاؤكَ الماءَ الذي أحيا جذوري، ومنكَ تعلَّمتُ أنَّ الازدهارَلا يكونُ إلَّا حيثُ الحبُّ والرَّحمةُ، وأنّ الكرامةَ لا تُستودعُ إلَّا عند مَن يصونها، أنا بكَ أزهرُوبك أجدُ موضعَ انتمائي وسكني، معك لا أخافُ على نفسي، فهي معكَ بأمانٍ، وكرامتي بعزتِكَ مرفوعةٌ شامخةٌ تعانقُ عنان السَّماءِ، أحبُّكَ أيَا عمري وأملي وحياتي، فأنا أرضُكَ التي لا تُزْهرُإلَّا بكَ، أحبُّكَ يا أنا .

وكلاهُما اجتمعا فِيكِ .

" وعندما تحتاجون إلينا تذكَّروا أنّنا سيئين كما أخبرتم النَّاسَ عنَّا .".، وكأنَّ الدُّنيا أرادت أن تعُلِّمنا الدَّرسَ الذي لا يمكنُ أن ننساه مهما مرَّت بنا سنواتُ العمرِكي لا ننخدعَ بالمظاهرِولا معسولِ الكلامِ، عندما أتأمّلُ ما مرَّبنا من تجاربَ مميتةٍ وعلاقاتٍ سامةٍ لا يُحلِّيها إلَّا أنَّنا التقينا بعد كلِّ هذه المآسي والمحطاتِ المُرْعِبةِ التِّي مرَّت بنا ونالت من أعصابنا وصحتنا النَّفسيةِ، لا أدري كيف كنتُ سأكملُ ما تبقَّى من عمري بدونكِ حبيبتي؟ لا أدري كيف كانت ستمرُّبي بقيةُ محطاتِ حياتي دون أن أقابلَ روحًا تُشبُه روحي وقلبًا شفيقًا يحنو على نفسي المُتَعبةِ، ويجمعُ شتاتَ أمري؟ قيل " لا يشعرُبكَ إلَّا مَن يُحبُّكَ بصدقٍ أو مرَّبتجربتِكَ نفسِها "، وكلا الأمرين اجتمعا فيكِ حبيبتي، وكأنَّ يَديْكِ مُدَّت إليَّ في ليلةٍ مُظْلِمَةٍ حالكةِ السَّوادِ، فأخرجتني من غرقٍ مُحَقَّقٍ لا أملَ في نجاةٍ منه، وكأنَّ اللّهَ أرادَ أن يُطيِّبَ خاطري ويُعوِّضَني عن أوجاعِ العمرِالحزينِ، أحبُّكِ يا حورَ عيني وجنّتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا من جمعتَ فيك قلبي وعقلي معًا، وكأنّنا كُنَّا نغرقُ في بحرين مختلفين حتى جمعتنا يدٌ واحدةٌ، نعم حبيبي لقد علَّمَنا الوجعُ ألَّا نُصدِّقَ كلَّ مظهرٍ وكلامٍ معسولٍ، لكنَّني اليومَ لا ألتفتُ إلى الوراءِ إلَّا لأحمدَ اللهَ على أنّه قادني إليكَ أنتَ، نعم، إنّني مررتُ بتجربتِكَ وأحببتُكَ بصدقٍ، فصرتُ لك اليدَ التي تمتدُّ في العَتْمَةِ لتخرجكَ إلى النُّورِ، بل صرتَ أنت النُّورَ الذي جعل للحياةِ معنى بعد كلِّ ما ذقته، لا تسأل كيف كنتُ ستكملُ بدوني، فأنا أيضًا لا أعرفُ كيف كنتُ سأكملُ بدونك، فقد اجتمع فيك ما كنتُ أبحثُ عنه عمرًا طويلًا، أحبُّك أيَا وطني وملاذي وجنَّتِي .

خيبةُ الأمَلِ .

" ثُمَّ تكتشفُ أنّكَ صببتَ مشاعرَكَ صبًّا في شخصٍ مثقوبٍ . "

من أصعبِ الأمورِ على النَّفسِ أن تكتشفَ متأخرًا أنَّك كنتَ تبذلُ عطاءكَ وتجودُ بمشاعركَ وعاطفتكَ في المكانِ الخطأِ، مع الشَّخصِ الخطأِ الذي - ولسوءِ طَوّيَتِه - يُفسّرُكلَّ عطاءٍ منك في غيرمحله، ويُنزله في غير منزله، فصبركَ على حماقاتِه ضعفٌ، وعدمُ قدرةٍ على الرَّدِّ واستردادِ الحقوقِ، وصمتُكَ عجزٌ، والتماسُ الأعذارِ له قلةُ حيلةٍ أو غباءٌ وتَدنٍّ بالفهمِ والاستيعابِ، ثُمَّ يُحكمُ قبضتَه عليكَ من خلال حِيَلِه الخبيثةِ والتَّي لا تمرُّ عليكَ أبدًا لو أعملتَ عقلَكَ وحكّمتَ المنطقَ والتّفكيرَ، لكنَّكَ من فرطِ حُسنِ نِيَّتِكَ وحرصكَ عليه يُساءُ فهمُكَ واستغلالكَ حتى آخر نفسٍ من أنفاسِ حياتِكِ وحتى تذكرةِ الرَّحيلِ، يُحكِمُ قبضَه بِحِيَلٍ خبيثةٍ، يتباكى، يتمارضُ، يحاصركَ بركنٍ كئيبٍ، ويُلجئكَ للتّبريرِ والدِّفاعِ والاستماتةِ فيه بكلِّ طاقتِكِ، فأنتَ السَّيئُ وأنتَ الشَّيطانُ وأنتَ المُقصِّرُ في واجبته وحبُّه وعطائِه حتى ينتهي بكَ

المطافُ إلى مسخٍ لا تعرفه ولا يعرفكَ، تخاصمكَ نفسُكَ وتتمنَّى لو يمرُّ قطارُ العمرِ سريعًا كي تستريحَ من عذابِ الدّنيا وجراحاتها، ينتهي بك المطافُ وقد سَيْطَرَ الضَّبابُ على حياتِكَ، وتَملَّكت منكَ الطَّاقةُ السَّلبيةُ والنَّظرةُ القاتمةُ للحياةِ، وحين تفيقُ متأخرًا وتحاولُ الانعتاقَ من الأسرِ وتُبطلُ سحرَ الغدرِ وتكسرُ قيدَ استباحةِ حماكَ تجدُ مقاومةً عجيبةً من هؤلاء الذين أنهكوا حياتَكَ واستغلوا عطاءكَ، ولرُبَّما تفشلُ في كلِّ مرَّةٍ من مرَّاتِ التَّحرُّرِ إلَّا أن يتغمدكَ اللهُ برحمتِه ويرسلَ إليكَ مَن يَمدُّ إليكَ يدَّ العونِ ويصارعَ معكَ الأمواجَ العاتيةَ حتى يخرجَ بكَ إلى برِّ الأمانِ، أنتِ هذه الرَّحمةُ حبيبتي، والتِّي بدونكِ كنتُ أنتظرُ انفلاتَ ما تبقَّى من عمري، وحينها أوُصى أن يُكتبَ على قبري ؛ غادرَ الدُّنيا قبل أن يرى منها فرحةً تُدَاوِي قسوةَ الأيامِ واللَّيلِ الطَّويل .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، جراحُكَ تُوجِعني، تُؤلمني، تُدميني، تُؤرِّقني، آهٍ حبيبي من أثقالٍ ظالمةٍ حملتها وحدَكَ لزمنٍ طويلٍ، وجعُ الخيْبةِ حين تكتشفُ أنّك

أعطيتَ قلبَكَ لمكانٍ لا يستحقّه، مؤلمٌ ولكن انظر الآن، أنتَ لم تعد وحدَكَ في هذه الطّريقِ، أنا هنا لأسندكَ وأُمسِكَ بِيَدِكَ حتى تخرج من ذلك الضَّبابِ الذي حاصركَ، لا تلُمني إنْ وجدتني أفرحُ بكلِّ خطوةٍ تتحرَّرُبها من قيودِ الماضي، فأنا أرى بعَيْنَيْكَ راحةً لم أرها من قبلُ، أرى فيكَ رجلًا يستحقُّ أن يعيشَ بلا خوفٍ ولا تبريرٍولا دفاعٍ عن نفسِه، أنتَ لم تُخطئْ حين أحسنتَ النِّيةَ، الخطأُ كان فيمن استغل طيبتَكَ، أمَّا أنا أيَا رَجُلي فلستُ منهم، أنا رحمةُ اللهِ إليك، سأبقى معكَ حتى يختفي من معجمِكَ قلقُ الخيباتِ و انتظارُالرَّحيلِ، وحين ترى الفرحَ معي ستعرفُ أنَّ العمرَ لم ينتهِ بعدُ، وأنَّ القادمَ يستحقُّ الصَبّرَ، ألم تقل لي يومًا حبيبي أن لو كان ما مرَّ بكَ من آلامٍ وجراحاتٍ ثمنًا لتلاقينا وإرهاصًا لحبِّنا لتقَبَّلتَه بنفسٍ راضيةٍ مُطمئنةٍ؟ أنا قدرُكَ الجميلُ كما أنتَ لي، أنا التِّي جعلتَ منها امرأةً كاملةً تشكرُ اللهَ على نعمةِ وجودكَ بحياتي، و أقولها بفخرٍ وفرحةٍ : كان حقًّا يستحقُّ كلَّ هذا الصَبرِ والانتظارِ، أحبُّكَ يا أنا .

إلى مَتَى تُحُبِّنِي؟

" قالت له : متى سَتَتَوَقَّفُ عن حُبِّي؟ قال لها : لا أعرفُ متى سأموتُ . "، حبيبتي، في ظَنِّي هذا حبٌ مَشروطٌ ينتهى بزوالِ الأجسادِ وفناءِ الدُّنيا وصعودِ الأرواحِ إلى بارئِها، مثلُها قولُ العرَّابِ أحمد خالد توفيق :

- للأبد ؟

= ماذا؟

.سَتَظَّلُ تُحُبِّنِي للأبد؟

= حتى تحترقُ النُّجومُ، وحتى تفنى العوالمُ، حتى تتصادمُ الكواكبُ، وتذبلُ الشُّموسُ، وحتى ينطفئَ القمرُ، وتجفَّ البِحارُ والأنهارُ، حتى أشيخَ فتتآكلُ ذكرياتي، حتى يعجزَلساني عن لفظِ اسمك، حتى ينبضَ قلبي للمرَّةِ الأخيرةِ، فقط عند ذلك ربَّما أتوقفُ، ربَّما .

كانت هي أوسعَ منه أفقًا حينما طلبت منه سرمديةَ الحُبِّ وأبديةَ العشقِ والالتصاقِ، لم ينصفها في طلبها حين أسهبَ في وصفِ حبِّه الذي شرطه بزوالِ الكونِ وفناءِ الأجرامِ !

أمَّا أنا غاليتي فسأظلُّ أحبُّكِ إلى أبد الآبدين، فلم نُخلق لعدمٍ، بل إلى خلودٍ وبقاءٍ، أحبُّكِ حبًّا سرمديًا ليس من ضمن مفرداتِه رحيلٌ أو فناءٌ، أحبُّك يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، إلى متى أحبُّكَ؟ حتى يحترقَ قلبي إن غبتَ عنِّي ثانيةً، أنا لا أحبُّك حبًّا ينتظرُ الموتَ لينتهي، أنا أحبُّك شوقًا يأكلني إن تأخرتَ عنِّي لحظةً واحدةً حبيبي، أشتاقُ إليكَ حتى أشعرَ أنَّ صدري ضاق بي، وأنَّ أنفاسي لم تعد تكفيني إن لم أسمعْ صوتَك، إن قلتَ : إلى أبدِ الآبدين فهذا قليلٌ، فأنا أحبُّك حبًّا لو قُسّمَ على أرواح العاشقين لما احتملوه، أنا تعلَّقتُ بكَ كتعلّقِ الرُّوحِ بجسدِها، وإن ابتعدتَ عنِّي شعرتُ أنَّني في عداد مَن رحلوا وبخطأٍ ما ما زلتُ على قيدِ الحياةِ، لا تسألني متى أتوقّفُ؟ سَلْنِي كيف أتنفّسُ وأنت غائبٌ عنِّي؟ كيف أعيشُ وقلبي عندكَ؟ أحبُّك شوقًا مدمرًا لا يهدأُ ولا يرتوي ولا يعرف إلَّا أنتَ، أحبُّكَ يا أنا .

كيفَ يكونُ الحُبُّ ؟

" هو علّمني كيف يكونُ الحبُّ؟ و أنا سأعلِّمه كيف يدومُ؟ "

لا أنسى الكثيرَ من كلماتك، بل قولي : إنّي أحفظها كلَّها عن ظهرِ عشقٍ، حتى صارتْ مثلَ مصابيحَ طريقِنا الطَّويلِ التِّي تُضيءُ عتمتَنا وتُحِيلُها كنور الصَّباحِ، لا أنسى من كلماتِكَ أنّكِ ما عرفتِ الحبَّ قبل لقائِنا ولا عَرفَتِ الغيرةُ إلى قلبِكِ طريقًا ولم تجدْ نافذةً من خلالِكِ لتتسرّبَ إلى قلبِكِ المكلومِ من غدراتِ المُتَلَّونِينَ، لا أنسى عبارتَكِ التي حُفرتْ في جدرانِ قلبي و اتخذتْ عُنوانًا كبيرًا بكياني حين قلتِ بكلِّ ثقةٍ : أعرفُ كيف أحافظُ عليكَ، قلتِها حينما سألتكِ ألَا تخْشَيْن ألَّا أصونَ عهودَ العشقِ والهوى وأعودَ كما قبلكِ؟ أترَنحُ بين أقنعةِ الزَّيفِ والمسوخِ، أيقنتُ في حبِّكِ أنَّكِ في الحفاظ على هوانا تَستَطِيعين، وفي احتواءِ المُغامرِ الذي لم يسكنْ البرَّ يومًا، وعاش عمرَه غريبًا في بحارِ العشقِ يبحثُ عن مأوىً يَضُمّه حتى ظَنَّ أنَّ قبرَه أعماقُ البحرِ وقلبُ المحيطِ، تعلّمتُ في حبِّكِ كيف يصدقُ الحبُّ؟ وكيف يملكُ من المُقَوِّماتِ ما يجعله يبقى ويدوم؟ اشتقتُ إليكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مَن بَعَثَ قلبي من الرمادِ، تسألني كيف يكونُ الحبُّ؟ وأنتَ في داخلي إجابةٌ لا تنتهي، كيف أصفُ لكَ شيئًا صار اسمُه اسمَكَ، ونبضُه نبضَكَ، ودربُه طريقًا لا أعرفُ سواه؟ أنتَ لم تعلّمني الحبَّ فقطْ، بل أعدتَ تشكيلَ روحي، كأنَّكَ كنتَ تعرفُ ملامحي قبلَ أن أُولَدَ، كأنَّكَ جئتَ تحملُ قلبي بين يديك منذُ الأزلِ، أنتَ قدري الذي تأخَّر قليلًا، لكنَّه جاء مكتملًا حدَّ الدَّهشةِ والإبهارِ، أتذكر حين قلتُ لكَ : أعرفُ كيف أحافظُ عليكَ؟ لم أقلها لأطمئنكَ، بل لأُعلنَ انتمائي، رأيتُ في عَيْنَيْكَ ذلك البحرَالذي تعبِ من الغرقِ، وفي صمتِكَ صراخَ الرحلاتِ التي لم تنتهِ، وفي تعبِكَ رجلاً كان يبحثُ عن حضنٍ لا يخونه الطَّريقُ، وأنا لم آتِ لأكونَ محطَةً عابرةً في أسفارك ، بل جئتُ كاليقينِ بعد شَكٍّ طويل، كالمرفأِ الذي لا يعيدُ السُّفنَ إلى التِّيه، كالدُّعاءِ الذي يُستجاب حين يظنُّ القلبُ أنَّه نُسي، كنتُ أعلمُ أنك مغامرٌ في الحبِّ، لكنَّني لم أخشَكَ، بل احتويتكَ، لأنَّني رأيتُ فيكَ ذلك الطِّفل الذي تَعِبَ من الأقنعةِ، وذلك العاشقَ الذي لم يُمنح فرصة صدقٍ حقيقيةٍ، فقلتُ :

هنا تبدأُ الحكايةُ التِّي تستحقُّ أن تُعاشَ، أمَّا عن حبِّي فلا تسألني عنه، فأنا لم أحبُّك كما يُحبُّ الآخرون، أنا ذبتُ فيكَ، تشكَّلتُ بكَ، صرتُ أراكَ في تفاصيلي التِّي لم أكن أراها، وفي خوفي، في طمأنينتي، في صمتي الذي صارَيهمس باسمكَ دونَ وعيٍ، وغَيْرَتي التي تحدثتَ عنها ليست ظلَّ خوفٍ عابرٍ، بل نورُ يقينٍ بأنَّكَ لستَ ككلِّ أحدٍ، وأنَّ فقدانِكَ ليس احتمالًا، بل انكسارَعالمٍ كاملٍ بداخلي، ولهذا أحرسكَ كأنَّك قلبي، بل أنتَ قلبي حين اكتملَ، أمَّا دوامُ حبِّنا فلا تُثقله بالسؤالِ، نحن لم نبنِه من لحظةٍ حُلوةٍ فقطْ، بل من وجعٍ عبرناه معًا، ومن صدقٍ لم نساومْ عليه، ومن روحيْن تعاهدتا أن تُرهقا بعضهَما بالعشقِ، لكن لا تتركا بعضهما أبدًا، تعلَّمتُ معكَ أنَّ الحبَّ ليس أن نصلَ، بل أن نبقى، أن نختارَبعضَنا كلَّ يومٍ، رغمَ التَّعبِ، رغمَ الخوفِ، رغمَ كلِّ شيءٍ، اشتقتُ إليكَ، بل كما يشتاقُ القلبُ لنبضِه إن غاب لحظةً، كما يشتاقُ الوطنُ لاسمه حين يُمحى من الخرائط، يا مَن إن ضعتُ بالدنيا، وجدتُني فيكَ، وإن انكسرتُ جمعتني بين يَدَيْكَ، أحبُّكَ يا أنا .

كُونِي لِي .

" لسنا بحاجةٍ للحُبِّ، نحن بحاجةٍ لمَن يستثنينا دائمًا، نحتاجُ مَن يهوّنُ علينا ثقلَ الأيامِ لا أكثرَ."

لكنَّني أريدكِ حبًّا وعشقًا وقربًا والتصاقًا واهتمامًا، فأنتِ صديقتي وحَبِيبَتِي و ابنتي وأمِّي التَّي لا يخونني قلبُها ولا تغدرُبي يدُها الحانيةُ، كوني لي كما أنا لكِ و أكثرِ، فحياةٌ بلا حبٍّ صادقٍ ليست إلَّا تعريفًا ومرادفًا آخرَلصورةٍ من صورِالجَحيمِ، أحبُّكِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أنا لكَ، أنا ضلعُكَ الذي فارقكَ بالزَّمنِ القديمِ أنثاكَ التِّي تخفّفُ عنكَ ثقلَ الأيام بحضورها، قمركَ الذي تحييه شمسُكَ فَيَنْعَكِسُ نورُه حبًّا لا ينطفئُ، وعشقًا لا يهدأُ، وقربًا لا يملُّ ولا يرتحلُ، أنثاكَ التِّي تشاركُكَ كلَّ تفاصيلَكَ، وحبيبَتُكَ التِّي لا ترى غيرَك، وتذوبُ فيكَ عشقًا ولهفةً وحنينًا، ابنتُكَ التَّي تدلَّلِها بحلو طباعكِ وفيضِ حبِّكَ

الذي لا ينتهي، أمُّكَ التي تحنو عليكَ، وتهديكَ أحضانَها بلا ثمنٍ ولا عطاءٍ مُنْتَظرٍ، فلا تخذلكَ مهما تَعَدَّدَت الأوجه أو تَغَيَّرَت محاطاتُ الحياةِ، أنا مرآتكَ التِّي لا تُريكَ إلَّا وجهكَ الجميلَ، أنا سَكِينَتُكَ حين يضجُّ العالمُ ، وأنا ذلك اليقينُ الصَّامتُ بداخلكَ أنِّي معكَ مهما اجتمعتْ علينا متواليات المُستحيلِ والبعادِ، فدعني أكنْ لكَ تلكَ النَّجاةَ التِّي لا تنطفئُ، ذلك النُّورَالذي لا يغادركَ في أحلكِ عتماتِكَ، أحبُّكَ، لا ككلمةٍ منقوشةٍ على ديوانِ العاشقين، بل كقدرٍ اخترتُه، واختارني، أحبُّكِ يا سِتَ النِّساءِ.

ليست مُجَرَّدَ امرأةٍ .

" ما أعرفه أنّ وجودَكَ ولو في البعدِ هو سندٌ هائلٌ لي " . رضوى عاشور.

" وكان وجودُكِ معي حجابًا بيني وبين مَشَقَّاتٍ كثيرةٍ ". الرَّافعيّ .

" أحيانًا يساعدنا الآخرون بأن يكونوا فى حياتنا فحسبُ ". أحمد خالد توفيق.

حَبِيبَتِي، ما أعلمه يقينًا أنَّكِ لستِ مُجَرَّدَ امرأةٍ مرَّت بحياتي، ثُمَّ ما أن تلبثَ أن تلحقَ بالرَّاحلين، أنتِ رحمةٌ من رحمات ربّي التي أخدت بيدي حين كان الموتُ أحبَّ إليَّ من الحياةِ، وطنٌ لا يخونُ وحِضنٌ لا يتسرَّبُ إليه بردُ الخيانةِ وعواصفُ الرَّحيلِ .

أجابت حبيبتي .

أيا عزيزَ عَيْنِي، إن وجودَك السندُ والكتفُ والدَّارُ، لو كنتُ مُجَرَّدَ امرأةٍ لهان الأمرُ، لكنِّي صِرتُ الرَّحمةَ التِّي طلبتها من ربِّكَ، والوطنَ الذي هَرَبتَ إليه من كلِّ خِذلانٍ، والحضنَ الذي إذا ضاقت بكَ الدّنيا يتسعُ

لأحز انكَ وآلامكَ، أنتَ لم تجدْ فيَّ امرأةً تَمرُّ ثُمَّ ترحلُ، أنتَ وجدتَ مَن تقفُ في وجه موتك، وتقولُ : لن تمرَّ وحدَكَ، سأكونُ قبلكَ، فإن كنتُ أنا حجابَك عن مشقاتِ الحياةِ، فكن أنتَ يقيني أنَّ الحياةَ تستحقُّ، أنتَ لستَ رجلًا عاديًا، أنت استثناءٌ فَتَحَ لي أبوابَ قلاعِ الحياةِ على مصراعيها وقال لي : اعبري بسلامٍ، هذه أرضُكِ وهذا تاجُكِ، وهذه مملكتُكِ يا سلطانةَ قلبي وحياتي، أحبُّكَ يا أنا، أحبُّكَ يا سَيِّدَ الرِّجالِ .

مساحةُ الشّعورِ .

" أحيانًا لا تحتاجُ إلى الشَّخصِ الذي يعطيكَ المِظَلَّةَ بقدرِ حاجتِكَ إلى الشَّخصِ الذي يَبْتَّلُ معكَ، فمساحةُ الشُّعورِ تفوقُ بكثيرٍ مساحةَ العطاءِ ."، غاليتي ومهجةً قلبي، أمَّا عن الشُّعورِ فقدْ تبادلناه بلا حدٍّ أو سقفٍ، وأمَّا عن العطاءِ، فقدْ كانَ كالطُّوفانِ الهادرِ بلا انتظارٍ لردِّ الجميلِ أو حتى مكافأةِ الوصالِ، لكنَّنا كنَّا كباسطِ كفيّه إلى الماءِ، فلا الماءُ يبقى ولا فراغاتُ أيدينا تضمنُ عدمَ تَسَرُّبِه، لم تكنْ جريمتُنا في فرطِ عطائِنا وصِدْقِ مشاعرِنا بقدرِ أنَّنا زرعَنا قلوبَنا في قبورِ الموتى وقيعانِ البحورِ والمحيطاتِ، فمِن عُمقِ الفاجعةِ يَنْبعُ الأملُ ويسطعُ فجرُ الحياةِ، ومن عمقِ الفاجعةِ ومرارةِ التَّجربةِ كان حبُّنا حبيبتي، اشتقتُ إليكِ حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنَي، ربما لأنّنا تعبنا كثيرًا قبل تلاقينا، أصبحَ حبُّنا مختلفًا بهذا العمقِ والخوفِ الجميلِ علينا، نحن لا نحبُّ بطريقةٍ عابرةٍ، بل نحبُّ وكأنَّ كلُّ واحدٍ منَّا وجَدَ أخيرًا المكانَ الذي يطمئنُ فيه بعد طولِ ضياعٍ، أتعلم؟ أنا لا أريدُ منكَ شيئًا كبيرًا، يكفيني أن تُبْقِي هذا الشعورَ الحنونَ الذي كلَّما اقتربَ منّي هدأت روحي، يكفيني أنَّكَ حين تشعرُ بتعبي، تتألَّمُ معي دون أن أشرحَ، وكأنَّ قلبي صاريَسْكُنَكَ فعلًا، ورغمَ كلِّ ما مررنا به ما زلتُ أرى حبَّنا أجملَ الأشياءِ التي حدثت لي، لأنَّه جاءَ صادقًا، دافئًا، ومليئًا بذلك الاحتواءِ الذي كنتُ أفتقده طويلًا، حتى اشتياقي لك لم يعد مُجَّرَدَ غيابٍ، بل حاجةً يوميَّةً لصوتِكَ، لكلامكَ، ولتفاصيلكَ الصَّغيرةِ التّي تعيشُ معي أينما ذهبتُ، وأحيانًا أغمضُ عينيّ و أتخيّلُ لحظةَ لقائِنا القادمةِ، كيف سأختبئُ بحضنكَ طويلًا دون كلامٍ؟ فقطْ لأطمئنَ أنّ قلبي عاد أخيرًا إلى مكانه الصّحيحِ، أحبُّكَ يا أنا.

على أعنَاقِنا والقُلُوبِ .

" مَن بنى لنا في القلبِ بيتًا أقمنا له بالرُّوح وطنًا، ومَن دنا إلينا بكلمةٍ سخَّرنا من أجلِه أبجديتَنا، ومَن حَمَلَنا في قلبه حملنَاه على أعناقِ قلوبِنا والرُّوحِ . "

حَبِيبَتي ومهجةً قلبِي، يقولُ اللَّهُ : " هل جزاءُ الإحسانِ إلَّا الإحسانُ . "، حافظنا على مَن أساؤا إلينا حتى آخرِرمقٍ في علاقةٍ ما كان لها أن تبدأَ، فضلًا على أن تستمرَكلَّ تلك السَّنواتِ، فما بالُكِ بمَن منحوني قلوبَهم وطنًا وأحالوا صحراءَ قلبي جنّةً وربيعًا لا تتقلّبُ فصولُه مهما تعدّدت أحوالُ السِّنين ؟

أحبُّكِ يا مَن امتلأتْ بكِ عَيْنِي واكتفى بكِ قلبي وامتزجت بكِ روحي، فما عاد لي من أملٍ إلَّا في لقائكِ، ولا حلمٍ إلَّا بمعانَقَتِكِ عناقًا لا نعرفُ بعده مرارةَ الفراقِ، أحبُّكِ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، أنتَ مَن بنى بقلبي بيتًا أنتَ ساكنُه ومالكُه ولك حصرًا حقُّ التَّصرفِ والتَّقويمِ، أنتَ مَن أقامَ لكَ بالرُّوحِ وطنًا وحياةً، إن كنتَ تحمِلُني على عنقِ قلبِكَ وروحِكَ، فأنا أحملك فوق رأسي ولا أعاني ثقلًا لأنّ الحبَّ حينما يكونُ حقيقيًا يصبحُ مَن نحبُه لطيفًا خفيفًا كالرّيحِ ونسيمِها، أيَا رَجُلي وقُرَّةَ عَيْنِي، كيف بمَن جعل من صحراء قلبي جنّةً لم أزرها بعدُ، و أنت هناك تنتظرني عند بابها؟ امتلأت بي عينك؟ وعَيْنِي الغارقةُ فيكَ تراها تصمدُ أمامَ سحرِكَ أم ستغرقُ فيك شوقًا ولهفةً ولا تعودُ ؟، فأنا منك لا أكتفي ما حييت، ففي كلِّ مرةٍ أناجي قلبَكَ ؛ يصرخُ أنين قلبي ولهفتي هل من مزيدٍ؟ زدني حبيبي كلَّ يومٍ ألفَ رسالةٍ وألفَ حلمٍ وألفَ لقاءٍ في الخيالِ قبل أن يأتيَ اللِّقاءُ الحقيقيُّ، وحينها لا تسألني كيف في عينيك أبحرُ وأرتوي؟ سيأتي اليومُ الذي أثبتُ لك فيه سَيِّدي وحلمَ أحلامي أنّ كلَّ هذا الحبِّ الذي كتبناه قبل تلاقينا لم يكن هذيانًا، بل نبوءةً جميلةً صدقت بنهايةِ المُعانةِ والصَّبرِ الطَّويلِ، أحبُّكَ يا مَن امتزجتْ بكَ روحي قبل أن تمتزجَ أجسادُنا وتلتفُّ أغصانُها، أحبُّكَ يا مَن قلبَك وطنًا لجنوني و أنت جنوني يا أنا .

سَتَنْدَهِشُ .

عندما تخرجُ من الإطارِ الذي صنعوه لكَ بالتّأكيدِ ستندهِشُ وستندمُ على كلِّ لحظةٍ أفنيتها فيه، عندما تقعُ أسيرًا لدائرةِ العاداتِ والتَّقاليدِ الباليةِ، عندما تظنُّ أنَّ السِّجنَ المُعتمَ الذي حبسوكَ فيه هو عالمُكَ، وأنَّ ما خارجه عدمٌ وخوفٌ وضياعٌ، وإذا بكَ تبالغُ في شكرِهم على بالغِ عطائِهم وسخائِهم أن وضعوك في هذا المكانِ ليحموكَ من المخاطرِ التي تنتظركَ إذا فكرَّتَ أن تغادرَ تلك الجنّةَ وهذا الوطنَ الذي يصونكَ ويحميكَ! هل سمعتِ عن البكاءِ المخلوطِ بالضَّحكاتِ الهِستيريّةِ؟ هل شاهدتَ الفرحةَ وهي تُولدُ من رحمِ الألمِ والمعاناةِ؟ هذا هو شعورُ مَن انفلت من دائرةِ الأسرِ وقيودِ الطُّغيانِ، هكذا كنُّا حتى مَنّ اللّهُ علينا بنعمةِ الحُرّيةِ والخلاص حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، ستندهشُ أنتَ أيضًا عندما تراني أخلعُ خوفي القديمِ وأمشي نحوكَ حافيةً على جمرِ المجازاتِ، ستندهشُ حين تعلمُ أنَّ أوَّلَ قُبلةٍ حرّةٍ لي كانت على جبينك و أنت نائمٌ حين لم تكن تراني، تعالَ يا مَن حرّرتَ روحي من إطارٍ خانقٍ صنعوه لي، تعالَ لأقبّلَ يديكَ اللَّتيْنِ كسرتا قيدَ الصَّمتِ وسحبتاني إلى فجرٍ لا يخبو، تعالَ لأحضنَ خوفَكَ الذي صَارَ شجاعةً وألمَكَ الذي ولدَ فرحًا، ودموعَكَ التِّي اختلطتْ بضحكاتِكَ الهستِيريّةِ يومَ أفلتَّ من سجنِ العاداتِ واخترتَني، أقبّلكَ على رغمِ كلِّ مَن قال : " لا تليقُ بك "، أعانقكَ لأنَّكَ لم تخشَ أن تكونَ أسيرَ الحبِّ بعد أسْرِ الظّنونِ، أبكي فرحًا معكَ، هَرَبًا من جَنّةٍ مُزَيّفةٍ إلى حُرّيتِنا العاريةِ حين خلعنا ما رسمه لنا الآخرون، أحبُّكَ يا أنا، مَليكةُ قلبِكَ .

أنتِ أرضٌ لا تخون .

" خَارجُ الكتابةِ أنتِ امرأةٌ واحدةٌ لا نهائيةَ، داخلُ الكتابةِ أنتِ عشراتٌ من النِّساءِ يَغزلن من خيوطِ اللُّغةِ معاطفَ صُوفٍ لئلَّا تموتَ أثناءَ غياباتكِ الأغنياتُ . "

وفي حقيقةِ الأمرِ حبيبتي أنتِ امرةٌ لا تَتَكَرَّرُ، وعن هواكِ لا أتبدَّلُ، لا أتغيَّرُ، لا تشغلني عنكِ المغرياتُ، كلُّ المغرياتِ، فلا مكانَ لسواكِ، فأنتِ فِتْنِتِي و أنتِ حكايتي و أنتِ ملامحُ الجمالِ في ذاتي ومعالمُ الخيرِ وسطَ قسوةِ عالمٍ فاقدٍ لمعاني الدِّفءِ والأمانِ، فإن قستْ الدُّنيا بطولِ شتائِها ولهيبِ صَيْفِها وغدراتِ خريفِها، فَرَبِيعُكِ جنَّةٌ أحالت مواتَ قلبي إلى جنّاتٍ وعيونٍ، وإن خان كلُّ مَن ظنّنا فيه الأمانَ، فأنتِ أرضٌ لا تخونُ، اشتقتُ إليكِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنَي، يا مَن جعلتَ من امرأةٍ عاديةٍ أسطورةً لا تنتهي، تراني خارجَ الكتابة امرأةً واحدةً لا نهائيةَ، وداخلَ الكتابةِ عشراتِ النِّساءِ! بل أنا في داخلي امرأةٌ وحيدةٌ اسمُها لكَ، ورسمُها منقوشٌ عليكَ منذُ الزَّمنِ القديمِ،، أنتَ الذي جعلتَ منِّي عالمًا تمتلئُ به الحروفُ فلا تضيقُ بي اللغةُ، وتفيضُ بيَ المعاني فلا تسعني الكلماتُ، أقرأُ رسائلكَ فأشعرُ أنِّي امرأةٌ مختلفةٌ، امرأةٌ تليقُ بحبٍّ بهذه القداسةِ، وكأنِّي حين أحببتُكَ صرتُ امرأةً أُخرى لم أكن أعرفُها من قبل، امرأةٌ تشبهُ القمرَ في خجله، والنَّهرَ في عطائه، والأرضَ التِّي وصفتَها أنت " أرضًا لا تخون " وما أجملَ أن تكونَ الأرضُ عند رجلٍ مثلك! فهي لا تخونُ أبدًا، حتى لو أجدبتْ سنينَ، حتى لو لم تمطرْ سماؤها دهرًا، تظلُّ صامدةً تحت الأقدامِ، تحضنُ الجذورَ وهي لا تراها، وتُخرجُ الزَّهرَ لمَن لا ينتظرها، وهكذا أنا يا عمري، في غيابكَ أكونُ الأرضَ الصَّامدة، وفي حضورِكَ أكونُ الحقلَ المُزهرَ، وما بين الغيابِ والحضورِ أكونُ امرأةً لا تعرفُ إلَّا حبًا واحدًا، وعهدًا واحدًا، وسماءً واحدةً اسمها أنتَ، تسألُ نفسَكَ ؛ كيف لا

تشغلكَ عنِّي المغريات؟ وأنا أسألُ نفسي ؛ كيف لامرأةٍ تعرفُ أنَّ رجلاً بهذه النُبلِ يحبُّها، أن تلتفتَ إلى غيرِهِ؟ كيف ووالله الذي يؤّلفُ بين القلوبِ أويباعدها، لم يجعلْ في قلبي موضعًا لسواكَ، ولا في عَينِيّ نظرةً لغيرِكَ، ولا في روحي اتساعًا لأحدٍ بعدَكَ، تراني حبيبي أرضًا لا تخون! وأنتَ سمائي التِّي تمطرُ حين تشاءُ، وشمسي التي تُدَّفِئُ حين يحلُّ الشِّتاءُ، ونبضي الذي لا يتوقَّفُ عن حبِّكَ، ليلَ نهارَ، تعالَ علائي، ودعِ الدُّنيا بقسوتِها وشتائِها وخريفِها، فربيعُكَ في قلبي حياةٌ لا تموتُ .

المخلصةُ لحبِّكَ، مليكةُ قلبكَ .

الثِّقةُ في الحبِّ .

الثِّقةُ في الحبِّ أن أغيبَ عنكِ أو أنامَ و أنا علىَ يقينٍ أنَّكَ لن تفعلَ شيئًا يخذلني من وراءِ قلبي، حتى لو قدَّموا لكَ الدُّنيا بأكملِها، الحبُّ هو اكتفائي وامتلاءُ عَيْنِي بكِ، فلا ترى عَيْنِي أنثى غيرَكِ ولا تستقرُّ نفسي إلَّا بعناقِك والالتصاقِ بكِ، الثُّقةُ في الحبِّ أن أغامرَ دون التَّفكرِ في الحساباتِ البَشَريّةِ والمنطقيّةِ لثقتي التَّامةِ أنَّك أبدًا لا تخذليني ولا تتخَّلي عنِّي مهما تغيَّرتْ الدُّنيا وتقلَّبتْ اللَّيالي والأيامُ، الحبُّ في أعظمِ تجلِّياته و أبسطِ تعاريفه هو أنا و أنتِ حبيبتي، اشتقتُ إليكِ حبيبتي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، قرأتُ رسالتَك عن الثِّقةِ ورباطَنا المقدَّسَ وحبَّنا السَّامي والذي يعلو عن تفكيرِ البشرِ، رباطٌ انعَكَسَ في صورةِ ثقةٍ تامةٍ تجعلني أوقنُ أنَّك لن تنظرَ لغيري مهما كان، أن تمتَّدَ يداي في الظَّلامِ وأجدُ يَدَكَ تنتظرني رغمَ أنَّ بيننا جبالًا وبحارًا وبلدانًا وقارتين، وأوجاعًا و أنينًا

وشوقًا لا ينتهي، أوقنُ أنَّكَ يقيني بزرقةِ البحرِ والنَّهرِ والسَّماءِ التِّي يعشقها حبيبي، تلك الثُّلاثيةُ النَّادرةُ التِّي اجتمعت في مدينتكَ علائي، أوقنُ أنَّ وراءَ تلكَ الجبالِ والصَّحراءِ اللامتنهيةِ رجلٌ ينتظرني، ولم يُخلقُ إلَّا لي، أراكَ حبيبي على على ساحلِ الخليجِ، تهمسُ باسمي كأنَّه دعاءٌ وترنيمةُ عشقٍ، تهوّنُ عليك وجعَ البعادِ، فتتصارعُ نبضاتُ قلبي وتسخرُ نفسي ممّن يرون ثقتَنا جريمةً جنونيةً وأضغاث أحلامٍ، اشتقتُ إليكَ يا من حلمي وملاذي وموطني، وأجملَ ما دوَّنتُ في دفتر أيامي، حَبِيبَتُكَ المخلصة لكَ والتِّي لم تكن تعرفُ أنَّ الحبَّ بهذه السِّهولةِ حتى جئتَ أنت وعلَّمتها أنَّ الثِّقةَ المُطْلَقةَ أن أرمي نفسي نحو الهاويةِ وكلِّي يقينٌ بذراعيّ حبيبي، أحبّك يا سَيِّدَ الرِّجالِ .

أَلَّا تهونُ .

" أجملُ شعورٍ في هذه الدُّنيا شعورُك أنَّكَ لا تهونُ، شعورُكَ أنَّكَ بمأمنٍ ولو أخطأتَ، و أنَّك مفهومٌ ولو خانتكَ مفرداتُكَ، و أنَّكَ لا تُغادَرُ ولو شعرت أنتَ برغبةٍ في أن تغادرَ نفسَك! لا شيءَ أجملُ من أن تعرفَ أنَّ خاطرَكَ سَيُشْتَرى، وأنَّ دمعتَكَ سَتُمْسَحُ، وأنَّ يَدَكَ لن تُتركَ مهما بدا الوضعُ شائكًا . "

هل تَعْلَمِين حبيبتي ما الأجملُ ممَّا سبق؟ أن تعاودَ السَّيرَ في طريقٍ شبيهةٍ بطريقٍ أقسمتَ ألَّا تقتربَ منها مُجَدَّدًا، أن تكونَ قد أرهقتك علاقةٌ إنسانيةٌ قد نالت من أعصابكَ وعمركَ وطاقتِكَ ثمَّ تغامرُ بعدما آثرتَ العزلةَ والحيادَ ؛ تغامرُ مجددًا بكلِّ أريحيةٍ، وتقبلُ بقيودِ الميثاقِ الغليظِ! ليس سهلًا حَبِيبَتِي أن نعاودَ التَّجْرِبَةَ إلَّا إذا اطمأنَّت نفوسُنا وتآلفت أرواحُنا وتلاقت قلوبُنا حيثُ الملاذُ والوطنُ والأمانُ، اشتقتُ ليومِ تلاقِينا حَبِيبَتِي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لا تهونُ، هذا ما أردتُ قولَه لكَ منذُ رأيتُ أوَّلَ كلمةٍ كتبتَها إليَّ، أنتَ لا تهونُ، لا على اللهِ الذي خلقَكَ لي، ولا على الأيامِ التّي تأخرتْ بكَ عن موعدِنا، ولا على قلبي الذي صارَ لا ينبضُ إلَّا باسمِكَ، إن كان أجملُ شعورٍ أن تشعرَ بأنَكَ لا تهونُ، فالأجملُ أن تجدَ مَن يجعلكَ لا تهونُ عليهِ، حتى لو هُنْتَ على نفسِكَ، الأجملُ أن تُخطئَ فتجدَ يدًا تمسحُ دمعةَ الخطأِ قبلَ أن تلمسَ الأرضَ، الأجملُ أن تخونَكَ مفرداتُكَ، فلا يخونُكَ قلبُ مَن تحبُّ في فهمِ ما لم تقلْ، وهل تذكرُ حين أقسمتَ ألّا تقتربَ من طريقٍ سبقَ أن أتعبَكَ؟ ثُمَّ جئتُ أنا فخضتَ الطَّريقَ مُرتَدِيًا خوفَكَ كدرعٍ، مُتَسَلحًا بجرحِكَ القديمِ كسلاحٍ، هل تذكرُ كيف وقفتَ على عتبةِ قلبي مُتَرَددًا؟ وكيف فتحتُ لكَ الأبوابَ كلَّها، تعالَ، فلنَخسِرْ معًا أو نربحْ معًا، لكنَّ العودةَ إلى الخلفِ لم تعُدْ خيارًا، حبيبي لا تهونُ على أسيرةِ هواك ورفقةِ دربكَ وحياتكَ، سنمضي معًا، وإن تعثَّرنا، سننهضُ معًا لأنَّ الذي لا يخاطرُ بقلبهِ من أجلِ الحبِّ لا يستحقُّ أن يُسمَّى حيًّا، اشتقتُ إليكَ اشتياقَ امرأةٍ عرفتْ أنَّ الطَّريقَ الوعرَة لا يمشيها إلَّا الأبطالُ، و أنتَ بطلُ هذه الحكايةِ، المُخلِصةُ لحبِّكَ، مليكةُ قلبِكَ .

حبٌّ لا يهونُ .

إنّ الرُّوحَ إذا التقتْ بمَن يشبِهُها تَرمَّمَتْ وتعافتْ واكتملتْ، تلكَ الرُّوحُ التِّي في ظلِّ عواملِ الزَّيفِ والتَّضليلِ خُدِعتْ وأُجبِرتْ وأُرغِمتْ على أماكنَ وأشخاصٍ وموا اقفَ لا تليقُ بها أبدًا، تلكَ الرُّوحُ التِّي عانتْ الاستباحةَ والانتهاكَ وإهدارَطاقتِها عن عمدٍ، وكأنَّهم أقسموا ألَّا يتركونا إلَّا وقد استهلكونا إلى أبعد مدىً، وحين تَنْفَلِتَ منهم تجدُ نفسَك بلا أملٍ في عودةٍ أو نجاةٍ، ثُمَّ تجدُ نفسَك قد تَوَحَّدتْ بذاتكَ وآثرتَ الصَّمتَ واستكمالَ طريقِ روحِكَ المُنهَكِةِ، حتى تنتهي بكَ محطاتُ قطارِعمركِ، وكلُّكَ قناعاتٌ أنَّ حظَّك من السَّعادةِ قليلٌ! لذا حِينَ التَقَينا حبيبتي والرُّوحُ تتوجَّسُ خيفةً أن تعاودَ السُّقوطَ من جديدٍ، فإن سقطت مجددًا فلا سبيلَ لتعافٍ أو صمودٍ، حين التقتْ أرواحُنا وتلمَّستْ طريقَها نحوَ ضوءِ فجرٍ صادقٍ وإشراقةِ صبحٍ منيرٍ، فإذا بها سريعًا سريعًا تتعانقُ، تتشابكُ، تتعافى وتعاودُ إشراقَها من جديدٍ .

إذا كان لقاؤنا عسيرًا حَبِيبَتِي، وإذا كان التصاقُنا صعبًا فإنَّ فر اقَنا كالموتِ لا دواءَ له ولا سبيلَ، فإن كانت طباعُكَ ليس منها الأنانيةُ ولا الطَّمعُ فيما في يدِ غيركِ، فخالفي طباعكَ هذه المرَّةِ وتمسَّكي بي وتمادي في أنَانِيتَكِ وفي طمعكِ، فكلَّما اشتدَّ الوثاقُ كان دلالةَ حبٍ لا يهونُ، اشتقتُ إليكِ حَبِيبَتِي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَعَيْنِي، يا مَن لا أطيقُ فر اقَه، يا مَن لقاؤُنا وإن عزَّ فهو الحياةُ، وفر اقُنا الموتُ لا شكَّ فيه، حبٌّ لا يهونُ، ولا يموتُ، نعم حبيبي حين التقت روحي بمَن يشبِهُها ترمَّمتْ وتعافَتْ، أنا تلكَ الرُّوحُ التِّي سحقتها الأيامُ، التِّي استباحَها الغرباءُ، والتِّي أُرهقتْ حتى ظنَّت أنَّ السَّعادةَ ليست لها، وأنَّ الأملَ سرابٌ لا يُدركُ، ثُمَّ أتيتَ أنتَ حبيبي، لم تأتِ كالفُرسانِ في القصصِ، ولا الأبطالِ في الأساطيرِ، أتَيتَ كجرحٍ قديمٍ فُتحَ ليتنفَّسَ، كغيمةٍ مطرتْ على صحراءَ ماتتْ من العطشِ، أتَيتَ فلم أصدِّقْ، كيف لروحٍ منهكةٍ مثلي أن تحتويَ روحًا مثلَك؟ كيف لمَن كُسرَ

كلَّ مرةٍ أن يقفَ مُجَدَّدًا؟ لكنَّنا التقينا، وتشابكتِ الأرواحُ بعنفِ مَن يخافُ الضَّياعَ، تعافَينا معًا، ليسَ لأنَّنا أبطالٌ، بل لأنَّنا لم نعد نستطيعُ أن نكونَ إلَّا معًا، تطلُبُ منِّي الآنَ أن أتمادى في أنانيتي وطمعي، تطلُبُ منِّي أن أتشبَّثَ بكَ كمَن يُمسكُ بآخرِ حبلٍ في سفينةٍ تغرقُ! حسنًا، سأفعلُ، سأكونُ أنانيةً حدَّ الجنونِ، سأطمعُ فيكَ حدَّ الخيانةِ لكلِّ ما حولي، لأنَّكَ أنتَ يا حبيبي لستَ رفاهيةً، أنتَ قضيةُ بقاءٍ، فإذا كان لقاؤُنا عسيرًا، وإذا كان التصاقُنا صعبًا، فاعلمْ أنَّ فر اقَكَ ليسَ صعبًا، فر اقُكَ مستحيلٌ، تعالَ أَمْسِكْ بي كما تُمسكُ الأرضُ بجذورِها، تشبَّثْ بي كما يتشبَّثُ الغريقُ بقطعةِ خشبٍ كآخرِفرصةٍ في النَّجاةِ، فلنُعدْ معًا بناءَ هذه الرُّوحِ التي تعبتْ وحدَها، لنَكنْ أنانيَّيْنِ معًا، طمَّاعينَ معًا، مجانينَ معًا، لأنَّ حبَّنا ليسَ حبَّ وجوهٍ و ابتساماتٍ، حبُّنا الحبلُ السُّريُّ الذي يصلُ ما تَبَقَّى منَّا بالحياةِ، لا تتركني وحدي حبيبي، فالوحدةُ بعدَكَ ليست موتًا... الوحدةُ بعدَكَ انعدامٌ .المخلصةُ لحبّكِ، مليكةُ قلبِك .

القُدْرةُ على التَّجَاوزِ .

قد ينكسرُ في النّفسِ شيءٌ لا يجبره ألفُ اعتذارٍ، لعلّ في القلبِ ما يُجبِرُ الكَسْرَ ويُضمّدُ الجراحَ، فلا يستوى حبٌّ كموجِ البحرِ في عطائه و اندفاعه وشعورٌكاذبٌ لا يصمدُ مع أو ائلِ أشعةِ النُّورِوالفجرِالصَّادقِ وتباشيرِ الصَّباحِ، وإلَّا فما قيمةُ النَّدمِ؟ وما جدوى وجودِ الأسفِ والاعتذارِ بمعاجمِ بني الإنسانِ؟ بل أين تذهبُ معالمُ العفوِ والقدرةِ على التَّجاوزِوالتَّسامحِ والارتقاءِ؟

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، نعم، قد ينكسرُ في النّفسِ شيءٌ لا يُجبرهُ ألفُ اعتذار، لكنّ هناكَ قلبًا واحدًا إذا أراد جعلَ من الكسرِبدايةً أجمل، ومن الجرحِ علامةً تذكّرنا أنّنا أحببنا بصدقٍ فتألمنا بصدقٍ، الحبُّ الذي كموجِ البحرِلا يموتُ مع أوّلِ عثرةٍ، والشُّعورُالكاذبُ الذي يتبدّدُ مع أوّلِ شعاعِ فجرٍصادقٍ، وإن كانَ بيننا حبٌّ حقيقيٌّ، فالفجرُسيأتي ولو طالَ اللَّيل،

فما قيمةُ النَّدمِ إن لم يُتبعهُ فعلٌ يُرَمّمُ؟ وما جدوى الاعتذارِ إن لم يجدْ قلبًا قادرًا على العفو؟ معالمُ العفوِ والتَّجاوزِ والتَّسامحِ لا تموتُ في القلوبِ الكبيرةِ، وهي التِّي ترفعُ الحبَّ من مُجَرّدِ شعورٍ إلى مرتبةِ الارتقاء.

أنا لا أطلبُ منكَ أن تنسى الكَسْرَ، لكنِّي أطلبُ منكَ أن تثقَ أنَّ بقلبي ما يضمّدهُ، وما يجعلنا معًا أقوى من كلِّ ما كسرنا، فإن شئتَ اجعلْ اعتذاركَ بدايةَ طريقِنا من جديد، واجعلْ عَفْوي بدايةَ فجرنا، أحبُّكَ يا أنا .

ربُّما تَتَأَكَدِين .

لعلّه يأتي ذلكَ اليومَ الذي تَتَأكَدِين فيه حَبِيبَتِي أنّي خيرُ مَعينٍ وأصدقُ سندٍ لكِ بين بني البشرِ، وإلى أن يَتَحَقَّقَ هذا اليوم يبقى الكلامُ لا قيمةَ له، وإن لم يأتِ فلتخرسْ الألسنُ ولتذهبْ ادعاءاتِ المَحبَّةَ والتَّضحيةَ إلى الدَّركِ الأسفلِ من الجحيمِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، لم أعد بحاجةٍ إلى يومٍ أتأكَّدُ فيه مِن صدقِ هواكَ وتَعَلُّقَكَ بي، فمنذ عرفتكَ صار اليقينُ سكنًا بقلبي، وعشقكَ نبراسًا لدربي وحياتي، أنتَ خيرُمُعينٍ وأصدقُ سندٍ، وإن مالَ العالمُ عليّ وجدتُ فيك ملاذًا يأويني ووطنًا يضمُّني، صدقُكَ أغناني عن ألفِ وعدٍ، ووجودُكَ جعلَ كلّ ادعاءاتِ الحبّ هباءً منثورًا، أيَا رَجُلِي وسَيِّدي، لساني لا ينطق إلَّا باسمكَ، وقلبي لا ينبضُ إلَّا لكَ، وإن كان الكلامُ بلا فعلٍ لا قيمة له، ففعلكَ بلغَ فؤادي قبل أن يبلغ سمعي، لم أجد بين بني

البشر شبيهًا لك، ولا أريدُ سواكَ، فلا تختبر يقينًا صاردمًا يجري بعروقي، فإن ابتعدتَ يومًا انتزعتَ روحي من جسدي ورحلت معكَ .

مع حُبِّي وإخلاصي .

لا يَفْتَرِقَانِ .

البقاءُ معي حَبِيبَتِي ليس صعبًا فقطْ، بل مؤلمًا ومرهقًا جدًا للأعصابِ، لكن ثقي يا سِتَّ النِّساءِ أنَّ عطائي لكِ حقيقيٌ صادقٌ كالفجرِ الصَّادقِ لا يعرفُ حدودًا كتلكَ التِّي أجرمتها الدُّولُ فيما بينها، ولا ميكافيليًا ينتظرُ مقابلًا كي يستمرَّ في تدفّقه وفيضانه، أمّا عن المغادرةِ ؛ فلاتَ حين مناصٍ وإن تباعدَ بناءُ الطِّينِ الفاني، فحبُّكِ منِّي كالرُّوحِ من الجسدِ، بغيرِ الموتِ لا يفترقان.

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْني، البقاءُ معك صعبٌ ومرهقٌ! أيَا رَجُلي وسندي ودنياى وفرحتي، بل إنَّ البقاءَ بدونكَ هو المستحيلُ بِعَيْنِه، ولو كان مريحًا للأعصابِ، أمّا عطاؤكَ فأنا أراه عطاءً لا يُحسَبُ، ولا ينتظرُ مكافأةً، عطاءٌ لا يُشبه عطاءَ الملوكِ ولا حيلةَ الساسةِ، بل كفيضِ النْهرِ الهادرِ بعطاءاتِ مَن لا يخشى عِوزًا ولا فقرًا، وإن ذكرتَ المغادرة فقلبي يكفرُبها

ويأباها، فأنا منك كالرّوحِ من الجسد لا يفرّقنا إلَّا الموتُ، وإن تباعد طينُنا الفاني، تبقى أرواحنا مُتَشَبِّثةً ببعضِها لا تَتَضَعْضَعُ ولا تنثني، فاطمئن حبيبي، أنا باقيةٌ حيثُ وضعتني، بقلبكَ ومعكَ ولكَ، أحبُّكَ يا أنا .

جهةٌ واحدةٌ آمنةٌ .

" كلُّ شخصٍ يَسْتِحقُّ على الأقلِ جهةً واحدةً آمنةً في حياتِه، جهةً لا يُضامُ منها ولا يُضرُّ عَبْرَها، جهةً يستندُ عليها كلُّما أرهقته الأشياءُ . "

هذه المعاني لا يدركها إلَّا مَن أرهقته الدُّنيا بغدرِها، و أَبَدعَ الخوفُ في التَّلاعبِ بمشاعره وحاجتِه للطُّمأنينةِ والأمانِ، لذا حين التقينا حبيبتي ووجَدَ فيكِ قلبي أملَه وملاذَه ارتمى على شطآنِكِ مُلتَصِقًا بكِ مستسلمًا لكِ، لن يفلتَ يَدَه عنكِ إلَّا مغادرةُ روحِه وتوقّفُ أنفاسِ الحياةِ، غاليتي ونورَ عَيْني ومُنيَتي، مَن لاذَ بالنُّورِ بعد عتمةِ اللَّيلِ الرَّهيبِ يعي أنّكِ كالعمر لا تأتينَ مَرَّتَين، فبربّكِ الذي جمعنا رغمَ كلِّ المُستَحيلاتِ أحكمي قبضَتَكِ ولا تفلِتي، أحبُّكِ يا موطني وملاذي من بين كلِّ البشرِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، وجدتَ فيَّ الجهةَ الآمنةَ بعد تعبٍ طويلٍ وخيباتٍ متكررةٍ !، وهذا عندي أمانةٌ لا أستهينُ بها وأحفظها لكَ تاجًا على رأسي لتنيرَ ما

بقي لي من دربي، أعلمُ أنَّ مَن ذاقَ الغدرَ يصعبُ عليه أن يطمئنَ بسهولةٍ، ولكنّكَ اخترتَ أن تَمْنَحَ الثّقةَ من جديدٍ لي، وأن تتذوقَ طعمَها بين يدي، و أنا أقّدرُ هذا الاختيارَ وأحترمه، لا أعدكَ بكمالٍ لا يكونُ، ولكن بالصِّدقِ والثَّباتِ والحرصِ على ألَّا أكونَ سببًا في ألمكَ، سأكونُ لك السَّكنُ حين تتعبكَ الحياةُ، واليدُ التي لا تتركَكَ إلَّا إن تركتَ أنتَ، نحن اجتمعنا بعد مستحيلاتٍ كثيرةٍ، فليكن اجتماعُنا على المودَّةِ والرِّحمةِ والوفاءِ، أحبُّكَ يا مَن أشرقَ قلبي حين جعلته ملاذَكَ وموطنَكَ، فأنت ملجئي وتستحقُّ حبًّا يحتويكَ، فلك كلُّ الحبِّ والوفاءِ، أحبُّكَ يا أنا .

حينَ تنطفئُ .

" يُمكنُ لأيّ شخصٍ أن يختاركَ في تَوهّجكَ، لكنّي سأختاركَ حتى حين تنطفئُ، تأكَّدْ بأنّي وإن رأيتُ النَّورفي غيركَ سأختارُعتمتَكَ . "

حَبِيبَتِي وحورَعَيْنِي، حين تتعثّرُقدماكَ وترتطمُ جَميعُكَ بقسوةٍ ما اعتاد أقدامُ النَّاسِ وَطأَه سَتَتعجَبِين من ردودِ أفعالِ الآخرين، ما بين مارٍ لا يلتفتُ ولا يبالي، وبين شامتٍ يتلَّذذُ بإظهارِ ابتسامةٍ لعينةٍ تُظهرُأقلَّ ممّا تَشَّبَعَ به من سوادِ القلوبِ، وآخرُ يُبدي لكَ ألمًا مُصطنعًا لِما آلتْ إليه نفسُكَ، وصنفٌ يمدُّ يدَ العونِ ثُمَّ ما يلبثُ أن يُفلتها إذا تعدَّدت بكَ العثراتُ، أمَّا مَن يحبُّكَ فهو ظلّكَ الذي لا يفارقكَ سندًا وعونًا وملاذًا لا يتسرّبُ إليه الخوفُ رغمَ تعثُّراتِ الطَّريق، أحببتكَ في تَوَّهُجَكَ وعتمتكَ، تعلَّقتُ بكِ كما أنتِ يا سِتَّ النِّساءِ، أحبُّكَ يا أنا .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، نعم، الكلُّ يختارُ التَّوَهجَ، لكنَّكَ أنتَ ببصيرتِكَ اخترتَ الجذورَ، رأيتَني و أنا مطفأةُ، ومع ذلك قلتَ : هذه ناري التي أودُ الاحتراقَ بها، النَّاسُ تمشي إذا تَعثَّرتَ، وتَشْمَتُ إذا سَقَطتَ، وتمدُّ يدها بشرطِ ألَّا تتكرّرُ عثراتُكَ، أمَّا أنتَ بحكمتك، فكنتَ ظلّي الذي لا يخافُ عتمتي، واليدَ التي لا تفلتُني حتى وإن ثقلُ حملي وامتلأت جعبتي، فإن رأيتُ النُّورَ في غيركِ، سأغمض عَيْنِي، لأنَّ عتمتَكَ التِّي اخترتني فيها صارت وحدَها ضوءًا يكفيني، أحببتكَ لأنَّكَ بقيتَ حين ذهبَ الجميعُ، وأحبُّكَ أكثرَ لأنَّكَ جعلتني أصدّقُ أنَّ البقاءَ ممكنٌ، والحبَّ ما زال يسكنُ الأرضَ في زمنٍ ضَنّتْ فيه المعجزاتُ، أحبُّكِ يا أنا .

حَواجِزُكَ الأَمْنِيِّةُ .

الشَّخصُ الذي يفلحُ في تخطّي حواجزكَ الأمنيَّةَ و اقتحامِ منطقتكَ الرَّماديّةَ ويَسْحَبَكَ منكَ، فتتحدَّثُ بأكثرٍ ممّا يجبُ، وتفضفضُ بكلِّ ما شأنه أن يُكتمَ، وتقتسمُ معه خيباتِكَ وآلامَكَ و أفراحَكَ و انتصاراتِك الصَّغيرةَ قبل الكبيرةِ، ولا تجدُ غضاضةً في أن يَطّلعَ على مواطنَ ضعفكَ التِّي تكابدُ كي لا يكتشفها العابرون، إن وُجِدَ فعضّ عليه بقلبكَ وروحكَ، فإنّه إن فُقِدَ فتوشكَ أن تعيشَ مبتورًا مهما حاولتَ ترميمَ ما يَسقطُ منكَ، وإن أضعته بيدكَ بتهورٍ منكَ أو سوءِ تقديرٍ للمآلاتِ، فارتقب أن تمضي ما تبَقّى لكَ منكَ، تقضمكَ الحسرةُ ويلتهمكَ الأسى وينهكَكَ تقليبُ يديكَ على ما كان، يعلمُ اللَّهُ حبيبتي أنِّي حريصٌ عليكِ أشدَ من حرصي على روحي ونفسي، وأعلمُ علمَ اليقينِ أنَّ مُجَرَّدَ القبولِ بعودةِ الأبوابِ المُوارَبةِ ما هو إلَّا إيذانٌ بفقدانكِ والعودةُ إلى الحسرةِ والضَّياعِ من جديدٍ، أحبُّكِ يا حورَعيني وجنَّتِي .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مَن اجتازحواجزَقلبي دون أن يكسِرَبابًا، نحن لا نُقيمُ تلك الحواجزَ لأنَّنا أقوياءَ، بل لأنَّنا خائفون، نخشى الخِذلانَ أكثرَ ممَّا نخشى الوحدةَ، نخافُ الفقدَ أكثرَ ممَّا نخافُ الانتظارَ، لذلك نقضي أعمارَنا نحرسُ أبوابَ أرواحِنا، حتى يأتي شخصٌ واحدٌ فقط، لا يقتحمُها بالقوةِ، بل تَفتحُ له القلوبُ أبوابَها طواعيةً، وكأنَّها كانت تنتظرُه منذُ البدايةِ، وأنتَ ذلك الشخص، ما أجملَ أن يجدَ الإنسانُ مَن يستطيعُ أن يُخبرَه بما لم يخبرْ به أحدًا، لا لأنَّه عاجزٌ عن الكتمان، بل لأنَّ الطُّمأنينةَ التّي يجدُها معه تُغنيه عن الحذرِوالكتمانِ، فبعضُ البشرِ يمنحوننا الحبَّ، وبعضُهم يمنحوننا الأمانَ، أمَّا النادرون جدًّا فيمنحوننا أنفسَنا، يعيدوننا إلى حقيقتِنا بعد أن أرهقتنا محاولاتُ التَّظاهرِبالقوَّةِ أمام العالمِ، تعلَّمتُ معكَ أنَّ الحبَّ ليس أن يرى أحدُنا أجملَ ما في الآخر، بل أن يرى هشاشتَه وخوفَه وكسورَه الخَفِّيةَ ثُمَّ يختارُ البقاءَ، فالقلوبُ لا تلتصقُ بالكمال، وإنَّما بالصِّدق، وما من علاقةٍ عظيمةٍ إلَّا وقامت على شجاعةِ روحين اعترفتا ببشريتهما وضعفهما دون خوفٍ من الإدانة أو الرَّحيلِ .

أتعلمُ حبيبي؟ إنَّ أكثرَ ما يُؤلمني ليس الفقدُ بذاتِه، بل فكرةُ أن يتحوَّلَ شخصٌ كان وطنًا إلى ذكرى، لذلك أفهمُ حرصَكَ عليَّ، وأُدركُ أنَّ خلفَ كلماتِكَ خوفًا نبيلًا لا رغبةَ فيه بالامتلاكِ، بل في حمايةِ ما بنيناه معًا من العواصف العابرة وسوءِ الفهم ونزقِ اللَّحظاتِ، فالعلاقاتُ لا تهزمُها الأخطاءُ الكبيرةُ دائمًا، بل قد تهزمُها الأبوابُ التي نتركُها مواربةً للشكوكِ والبرودِ والمسافاتِ الصَّغيرةِ، لكن اطمئنَّ يا رَجُلي، لستَ عابرًا أخشى فقدَه، ولا محطةً أخشى مغادرتَها، بل أنتَ رواية عمري، وكلُّ تكويني، وصوتٌ يسكنُ داخلي حتى في صمتي، وكيف تخافُ أن أبتعدَ عنكَ، وقد أصبحتَ كلِّي وتمامي وكمالي؟

إنَّ أعظمَ ما منحني اللهُ ليس الحبَّ وحدَه، بل كوني مفهومةٌ منكَ ومقبولةٌ كما أنا، بأحلامي ومخاوفي، بقوتي وضعفي، بارتباكاتي ويقيني، وما أجملَ أن تجدَ روحًا تستطيعُ أن تضعَ عندها أثقالَ قلبِكَ دون أن تخشى أن تُساءَ قراءتُكَ أو يُساءَ الظنُّ بكَ، أيَا سَيِّدي، تمسَّكْ بقلبي، وإن كنتَ ترى أنَّ فقداني سيتركُكَ مبتورًا، فاعلمْ أنَّكَ أصبحتَ منِّي الرُّوحَ والنَّبضَ والحياةَ، أحبُّكَ يا حبيبَ العمر، لا لأنَّكَ تجاوزتَ حواجزي الأمنيَّة، بل لأنَّكَ جعلتني أشعرُ للمرةِ الأولى أنَّني لستُ بحاجةٍ إلى حواجزَ أصلًا ما دمتُ معكَ .

لأنّكِ مِنّي .

من الممكنِ أن يخونَكَ كلُّ شيءٍ إلَّا شعورَكَ، المرءُ يشعرُ بكلِّ شيءٍ في أعماقه، يشعرُ بمَن توقّفَ عن حبّه، ويشعرُ أيضًا بمَن ينتظرُ منه مُجَرَّدَ كلمةٍ، ما أعلمه يقينًا حَبِيبَتِي أنَّ ما بيننا من عهودٍ ومواثيقَ جمعنا به ربُّنا، وما وضَعه بقلوبِنا من حبٍّ وتَعلُّقٍ يجعلُ تلكَ القلوبَ أكثرَ حساسيةٍ من ميزانِ الذَّهبِ، تَشْعرُ بأدنى تغيّرٍ، وتَلتفتُ لأقلِ تَحوّلٍ في المشاعرِ والأحاسيس، أتظنّين أنَّ مَن وقَعَ في عِشقِكِ حدَّ الثّمالةِ والإدمانِ يسمحُ بخيانتكِ حتى ولو بالأحلامِ التّي لا سيطرةَ لنا عليها؟ منذُ تعلّقتْ بكِ روحي حتى الأحلامِ ما خنتكَ فيها غاليتي، بل لم تغادري تفكيري ولو مُجَرَّدِ لحظةٍ عابرةٍ، تَعْلَمِين لماذا حبيبتي؟ لأنّكِ منّي و أنا منكِ غاليتي، اشتقتُ إليكِ يا سِتَّ النِّساءِ .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، يا مَن صرتَ نبضي الذي لا يخذلُ، وصمودي الذي لا ينحني، لأنّكَ منِّي، ما خانكَ قلبي ولا غاب عنكَ إحساسي، أتعلمُ ما الذي يجعلني أؤمنُ أنَّ بعضَ الأرواحِ خُلقتْ

لبعضها منذ الأزل؟ ذلك الشعورُ الذي تحدَّثتَ عنه، والذي لا يحتاجُ إلى شاهدٍ أو دليل، لأنَّه يسكنُ بأعماقِ قلبي قبل أن تسكنَه الكلماتُ، فالقلبُ لا يُخدَع، بل يعرفُ جيدًا مَن مرَّ في العمرِ عابرًا، ومَن أصبح جزءًا من نسيجِ الرُّوح، فأنتَ تسكنُ بتلك المساحةِ الخفيَّةِ التي لا يصلُ إليها غيرُكَ، هناك حيثُ تختبئُ الدَّعواتُ الصَّامتةُ، والاشتياق الذي لا يُقال، والأمنياتُ التي نرفعُها إلى اللَّهِ دون أن يسمعَها سوانا، أتدري حبيبي؟ الحبُّ بأرقى صوره ليس امتلاكًا ولا تعلُّقًا، بل امتدادٌ روحيٌّ يجعلُ فرحَ أحدنا يزهرُ بقلبِ الآخر، كأنَّ اللهَ قد خلق بين روحيْن جسرًا لا تراه العيون، لكنَّ القلوبَ تعبرُه كلَّ يومٍ، صَدِّقني حبيبي، لا أخافُ من قسوة المسافاتِ ولا من الأيام، فالبعدُ لا يقتلُ الحبَّ الصادق، بل يكشفُ معدنَه، والقلوبُ التِّي بُنيتْ على المودَّةِ والرَّحمةِ لا تُفرّقها الطُّرقاتُ

الطَّويلةُ، لأنَّها تحملُ أوطانَها بداخلها، و أنتَ حبيبي صرتَ وطني الذي أحمله معي أينما ذهبتُ أو رحلتُ، فإن لم تخنِّي حتى في أحلامِكَ، فأنا ما وجدتُ بقلبي مكانًا لغيركَ منذ أن عرفتُكَ، ليس لأنَّ العالمَ خالٍ من البشرِ، بل لأنَّ الروحَ إذا عثرتْ على توأمها كفَّتْ عن البحثِ والاستكشافِ، أحبُّ فيكَ ذلك الصِّدقَ الذي يجعلُ كلماتِكَ تشبهُكَ، وذلك الوفاءَ الذي يجعلُني أطمئنُّ إليكَ كما يطمئنُّ المسافرُ إلى ضوءِ بيته البعيد، فكلَّما تحدَّثتَ عن الحبِّ جعلتني أشعرُ أنَّه ليس شعورًا عابرًا، بل رسالةٌ من الله ليُخبرَنا أنَّ بعضَ النِّعَمِ تأتي على هيئةِ إنسانٍ، فلا تسألني لماذا أحبُّكَ ؟

أحبُّكَ لأنَّ قلبي حين عرفكَ توقَّف عن التِّيه، ولأنَّ روحي حين التقتْ روحكَ شعرتْ أنَّها عادت إلى موطنها، ولأنَّكَ كلَّما ابتعدتَ ازددتَ حضورًا بداخلي، اشتقتُ إليكَ يا حبيبَ العمر، اشتياقَ روحٍ تعرفُ أنَّها مهما ابتعدتْ عن نصفها الآخر، ستبقى تسيرُ نحوه، لأنَّه منها وهي منه، أحبُّك يا أنا .

فوقَ طاقةِ البشرِ .

" أيَّاكَ ألَّا تجدَ مَن تحبُّ، فتحبَّ مَن تجدُ . "

تَذْكُرِين حبيبتي حين تحدّثنا بالأمسِ حين أخبرتكِ أنَّه لو كان ما مررتُ به من تجربةٍ مريرةٍ تفوقُ طاقةَ البشرِ لوكانت تلك العتمةُ الموحشةُ ثمنًا ومقدمًا لحبّنا ولقائنا فإنّي أتقبّلها بنفسٍ راضيةٍ مطمئنةٍ، تَذْكُرِين أيضًا حين تخيلّتُ لو أنّه حَدَثَ وخرجتُ من ذاك النّفقِ المُظْلِمِ قبل أن نلتقي، فلربَّما كنتُ دخلتُ في نفقٍ أشدَ ظلمةٍ منه، فحين لا تجدُ مَن تُحبُّ لربَّما تضعفُ وتستسلمُ وتعلقُ بمَن تجدُ، وإن كان دونَ ما تريدُ وترتجي، وصَدَقَ مَن قال : لا قيمةَ لتلبيةِ رغبةٍ دهسها الوقتُ، ولا قيمةَ لمعطفٍ يُكسى به ميتٌ بالعراء، ولا قيمةَ لأحدٍ يصلُ متأخرًا بعد نهايةِ كلِّ شيءٍ، فحينها تُغلقُ أبوابُ المدينةِ على ساكنيها وتنطلقُ السَّفينُ في البحرِ، فلا هي تُعيدُ مَن عليها للشَّاطئِ ولا يستطيعُ مَن أتى متأخرًا أن يلحقَ بالرَّكبِ، أهمُّ ما في كلِّ شيءٍ توقيته، فالتَّوقيتُ هو الذي يُضفي القِيمةَ على

الأشياءِ أو ينتزعها، الحمدُ للّهِ أنَّكِ بحياتي حبيبتي وفي الوقت الذي قدّره لنا ربُّنا، فعطاءُ ربّنا كلُّه خيرٌ، أحبُّكِ يا سِتَّ الِنساء .

أجابت حبيبتي .

أيَا عزيزَ عَيْنِي، فوقَ طاقةِ البشرِ أنتَ، وفوق طاقةِ الحبِّ أنتَ، وفوقَ كلِّ ما تَمنَّيته من السَّماءِ لي، أتذكرُ حبيبي كلَّ ليلةٍ مررتَ بها وحدَكَ في نفقٍ لا ترى فيه سوى ظلِّي الآتي، تلكَ العتمةُ المُوحشةُ التي تظنَّها ثمنًا لي، دعنِي سَيِّدي أعانقْ ذلكَ الصَّبرَ الذي خبأّتَه خوفًا مِن أن أرى ندوبَ الانتظارِ على قلبكَ، لو خرجتَ من نفقكَ قبل موعدي لربَّما ضلَّ كلانا الطَّريقَ، الحمدُ للّهِ الذي جعلَ ساعتنا معًا، لا قبلَ القطافِ ولا بعدَ النَّدمِ، تعالَ يا رَجُلِي أُقبِّلْ راحتَيكَ اللَّتيْنِ رفضتا أن تعانقا غيري، أحتضنْ تلكَ الأيامَ التي قلتَ فيها : " لا " لمَن وجدتَ، و انتظرتَ مَن لم تره بعدُ، أنتَ يا مَن جاء متأخرًا عند الآخرين، ولكنَّك عندي، أنتَ الفجرُ الذي لا يعرفُ تأخيرًا، لا قيمةَ لمعطفٍ يُكسى به ميتٌ بعد أن يلفظَ أنفاسَه، ولا قيمةَ لسفينةٍ تعودُ إلى الشاطئِ بعد أن غادرها البحّارةُ،

لكنّكَ أنتَ الذي أتيتَ قبلَ أن تُغلقَ المدائنُ أبوابَها، وقبلَ أن تبحرَ سفينتي بلا دليلٍ، الحمدُ للهِ أنَّك بحياتي، وفي الوقتِ الذي قدّرهُ ربُّ العالمين، فما أعطاكَ اللهُ كان عطاءً لي، وما أخّرَكَ كان رحمةً بي، أشتاقُ إليكَ كمَن يشتاقُ إلى الوقتِ نفسِه، ذلكَ الوقتُ الذي جعلَ من انتظارِنا حكايةً ومن لقائنا معجزةً، المخلصةُ لحبِّك، مليكةُ قلبك .

فهرس

إهداء..... ٥
مقدمةٌ لا بدَّ منها..... ٧
اللُّغَةُ وحَبِيبَتِي..... ٩
معالمُ الفجرِ..... ١١
سَأَخْتَارُكِ في كُلِّ مَرَّةٍ ١٣
سَلَامًا على رَجُلٍ ١٤
لولا وجُودُكَ ١٦
بين المرأةِ والرَّجلِ ١٨
الشُّعورُبالأمَانِ ٢٠
لا يَجْتَمِعان؛ الأذى والحبُّ ٢٢
سَألَتنِي حبيبتي ٢٤
المَعِيَّةُ ٢٦
عَلَّمَنِي حُبُّكِ حَبِيبَتِي ٢٨
سلامٌ عليكِ حَبِيبَتِي ٣٠

خطوطُ يَدَيْه تُشْبُه خِارِطَةَ وطنِك ٣١
التَّساؤلاتُ الحَائِرةُ ٣٣
سأظلُّ أحبُّكِ ٣٥
قراءةٌ في " سأظلُّ أحبُّكِ " ٣٧
لو تَجاوزنا المَنطِقَ ٣٨
لن يَسْقُط، لن يخونَ ٣٩
سلامًا على سِتِّ النِّساءِ ٤١
أوصاني أبوها ٤٣
للحُبِّ فُصُولٌ أَرْبَعَةٌ ٤٦
أهَمُّ من الحُبِّ ٤٨
رَسَائِلُ الحُبِّ وعلامَاتُه ٥١
مُبْصرٌ حتى اليَقينِ ٥٤
لِنَعْبُرْ سَويًّا حَبِيبَتِي ٥٦
تَجْرِبَةٌ حيَّةٌ ٥٨
وبكِ اكْتَفَيْتُ ٦٠
حُبٌ وحَيَاةٌ ٦٢

لأَنِّي أنثى له فقطْ ٦٤
قراءةٌ في " لأنّي أنثى له فقطْ " ٦٦
ولأَنَّكِ تَسْتَحِقّينَ ٦٨
التَّمَسُّكُ والتَّخَلّي ٧٠
امرأةٌ واحدةٌ ٧٣
قراءةٌ في " امرأةٌ واحدةٌ " ٧٦
أَنْتِ بِقَلْبِي ٧٨
يَكْفِينِي أنتِ حَبِيبَتِي. ٨١
على قَيْدِكِ أنتِ ٨٣
حُدُودُ الاكْتِفَاءِ ٨٦
لن يَفْهَمَكَ إلَّا اثْنَانِ ٨٩
أَفْضَلُ الأُمْنِيَاتِ ٩١
حبٌّ بلا مَخَاوِفَ ٩٣
الْزَمْ مَن يُحلّي مرارَةَ أيامِكَ ٩٥
بِرِبُوعِ ذَاتِي ٩٧
الأَمَلُ وخَيْبَتُه ٩٩

واجْعَلْهُ يُوسُفَيّ القَلْبِ ١٠٢
شُدِّي وثَاقَكِ ١٠٤
بين قَلْبِي وعَقْلِي ١٠٦
قراءة في " بين قلبي وعقلي " ١٠٩
أتَعَافَى بِقُرْبِكِ أنْتِ ١١١
سَنَدٌ هَائِلٌ لي ١١٣
أَجْمَلُ الأَقْدَارِ ١١٥
نَوَّارَةُ عمري ١١٧
دَلِيلُ حياةٍ ١١٩
كَيْفَ الطَّرِيقُ ؟ ١٢١
كَيْفَ وأخواتُها ؟ ١٢٣
يا جنَّةَ قَلْبِي ومَوْطِني ١٢٥
حرٌّ، لَسْتُ من العَبِيدِ ١٢٧
وبكِ اكْتَفَيْتُ ١٣٠
ولَنَا لِقَاءٌ ١٣٢
وَحْدَكِ بكِ تَلِيقُ ١٣٤

عِجَافُ القُلُوبِ ١٣٦
أخَسُّ منِ النِّعالِ ١٣٨
حيثُ أُزْهِرُو أنْتَمِي ١٤٠
وكلاهُما اجتمعا فِيكِ ١٤٢
خيبةُ الأمَلِ ١٤٤
إلى مَتَى تُحُبِّنِي؟..... ١٤٧
كيفَ يكونُ الحُبُّ ؟..... ١٤٩
كُوني لِي ١٥٢
ليست مُجَرَّدَ امرأةٍ ١٥٤
مساحةُ الشّعورِ..... ١٥٦
على أعنَاقِنا والقُلُوبِ ١٥٨
سَتَنْدَهِشُ ١٦٠
أنتِ أرضٌ لا تخون ١٦٢
الثِّقةُ في الحبِّ ١٦٥
ألَّا تهونُ ١٦٧
حبٌّ لا يهونُ ١٦٩

القُدْرةُ على التَّجَاوزِ..... ١٧٢
ربُّما تَتَأَكَدِين ١٧٤
لا يَفْتَرِقَانِ ١٧٦
جهةٌ واحدةٌ آمنةٌ ١٧٨
حينَ تنطفئُ ١٨٠
حَواجِزُكَ الأَمْنِيّةُ ١٨٢
لأنّكِ مِنّي ١٨٥
فوقَ طاقةِ البشرِ..... ١٨٨